الصوت اللغوي وظواهره
في
(بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز)

إعداد

د/ محمد محمود خالد إبراهيم

دكتوراه في اللغة العربية

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

تاريخ الاستلام : ٢٥/ ٩/ ٢٠٢٠م

تاريخ القبول : ١ / ١١/ ٢٠٢٠م

ملخص:

جاء هذا البحث مُؤصِّلاً للنظرية العربية في علم الأصوات، التي تطورت فيما بعد للتخصص في علم الصوت الوظيفي، وكان مجال ذلك تطبيقاً وتنظيراً في سفرٍ من أرقى الأسفار اللغوية ألا وهو "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز" للعالِم اللغوي الفيروز آبادي، ففي الكتاب مادة تُقدِّم تصوُّرًا واضحًا للدِّراسة الصوتيَّة، وهو الفرع الذي برعَ فيه علماء العربيَّة مبكِّرًا.

وجاء البحثُ في محاولة لاستجلاء الصوت اللغوي وظواهره، وعرضِه عرضاً يتسم بالشمول والتنظيم من خلال تعريف الصوت، وحدود الصوت اللغوي، ومخارج الأصوات، والظواهر الصوتية كالإبدال، والإدغام، والإعلال، والهمز، والإشباع، والإمالة والتفخيم، ومقارنة ذلك برؤية علماء اللغة العربية قديماً من أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي، وسيبويه، وابن جني، وبما يقرره علماء الدرس الصوتي الحديث.

Abstract:

This paper aims to further establish the long-held Arabic theory in phonetics, which formed the base for contemporary phonology. The researcher refers to one of the most distinguished tomes in the field of language, namely **"*Basā'ir Thawi Attamyīz fi Laṭā'if Al-Kitāb Al-Azīz*"** (Insights of Discerners on Understanding Subtleties of the Glorious Book) by the linguist and lexicographer Fairuzabadi, since his book is a perfect example of theoretical and applied investigation. This prominent book provides a detailed exploration of phonological study, the discipline in which Arab philologists excelled in very early times.

The research endeavors to elucidate the phoneme and allophones (phoneme different variants), both comprehensively and systematically, through definition of phoneme, phoneme boundaries, places of articulation, and phonological features such as ***'Ibdāl*** (replacing the glottal stop with a vowel), ***'Idghām*** (phoneme assimilation), ***'I'lāl*** (replacing the glottal stop with a semi-vowel), ***Hamz*** (pronouncing glottal stops), ***'Ishbā'*** (extreme prolongation of long vowels), ***'Imālah*** (replacing the low front unrounded vowel with mid front unrounded vowel), and ***Tafkhīm*** (phoneme emphasis). Moreover, this study introduces a comparison between the vision(s) of early Arab philologists, such as Al-Khalil ibn Ahmad Al-Farahidi, Sibawayh, and Ibn Jinni, and the views of their modern counterparts.

مقدمة :

لقد مثَّل النصُّ القرآنيُّ أرفع النصوص اللغوية درجةً وصل بها إلى حد الإعجاز، وقد تنوعت الدراسات حول النص القرآني، وكان كتاب (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) واحداً من تلك الكتب، حيث اعتنى بمفردات القرآن الكريم، واشتمل على ثروة لغوية هائلة، كما تطرق صاحبُه للصوت اللغوي وظواهره، مطبقًا ذلك على القرآن الكريم وقراءاته، مبينَا مخارج الألفاظ، وعارضَا بعضَ الظواهر الصوتية للصوت اللغوي، وكان هذا هو السبب في اختياره مجالاً لهذا البحث.

ولكي يحقق البحثُ الغرض منه، جاء في تمهيد ومبحثين، وخاتمة، ثم ثبت بالمصادر والمراجع.

بالنسبة للتمهيد: تناول تعريف الصوت، وحدود الصوت اللغوي، أما **المبحث الأول،** ففيه الصوت المفرد ومخارج الأصوات كما ذكرها الفيروز آبادي في كتابه البصائر، وأما **المبحث الثاني،** فتناول الظواهر الصوتية، وهي كما يأتي: –

١ – ظاهرة الإبدال، وفيها:

أ– الإبدال في حروف الشفة

ب–الإبدال في حروف اللثة

ت–الإبدال في حروف طرف اللسان (اللثوية)

ث–الإبدال بين حروف طرف اللسان وأطراف الثنايا (الثّاء، الذَّال، الظَّاء)

ج–الإبدال في الحروف الشَّجْرِية

ح–الإبدال في حروف أقصى الفم (القاف، الكاف)

خ- الإبدال في حروف الحلق، وفيها:

أ- إبدال (الحاء عيناً)

ب- إبدال (العين غينا)

ت- إبدال (الحاء خاءً)

ث- إبدال (الحاء هاءً)

د- إبدال بعض الحروف الصحاح (ياءً)، كما يأتي:

١- إبدال الحرف إلى (**ياء**)، وفيه:

أ- إبدال (الباء ياءً)

ب- إبدال (الثاء ياءً)

ت- إبدال (السين ياءً)

ث- إبدال (العين ياءً)

ج- إبدال (الكاف ياءً)

٢- إبدال أحد الحرفين المتماثلين أو المُضعَّفين ياءً، وفيه:

أ- إبدال (الراء ياءً)

ب- إبدال (الصاد ياءً)

ت- إبدال (الضاد ياءً)

ث- إبدال (اللام ياءً)

ج- إبدال (الميم ياءً)

ح- إبدال (النون ياءً)

٣- إبدال بين الياء وحروف العلة، وفيه:

أ- إبدال (الياء ألفاً)

ب- إبدال (الواو ياءً)

ت- إبدال الألِف في الوقف ياءً

٢- ظاهرة الإدغام، وفيها:

أ- إدغام الواو في التاء

ب- إدغام التاء في الدال

ت- إدغام التاء في الظاء

ث- إدغام المتماثلين

٣- ظاهرة الإعلال، وفيها:

أ- إعلال سياقي

ب- إعلال اشتقاقي

٤- ظاهرة الهمز

٥- ظاهرة الإشباع

٦- ظاهرة الإمالة والتفخيم

وعرضت الخاتمة أهمَ ما توصل إليه البحث.

التمهيد:

الصوت لغة: الجرس، والجمع أصوات، قال ابن السِّكِّيت: الصوت: صوت الإنسان وغيره، والصائت: الصائح، ورجل صَيِّت: شديد الصوت [١]. رجل صائت: حسن الصوت شديده، وكل ضَرْب من الأغنيات، صوتٌ من الأصوات[٢].

وقد ثبت علمياً أن الصوت: اهتزازاتٌ محسوسة في موجات الهواء، تنطلق من جهة الصوت، وتذبذب من مصانعه المصدِّرة له، فتسبح في الفضاء حتى تتلاشى، ويستقر الجزء الأكبر منها في السمع بحسب درجة تذبذبها، فتوحي بدلائلها، فرحاً أو حزناً، نهياً أو أمراً، خبراً أو إنشاءً، ولعل في تعريف ابن سينا إشارة إلى جزء من هذا التعريف من خلال ربطه الصوت بالتموج، واندفاعه بسرعة عند الانطلاق، حيث يقول: "الصوت تموج الهواء، ودفعه بقوة وسرعة من أي سبب كان"[٣]

فالعملية العملية الكلامية تتم في شكلها الأساسي عن طريق التحكم في هواء الزفير الصاعد من الرئتين. ولا نعلم لغة تعتمد على هواء الشهيق[٤] أيضاً، ولكن هذا إن حدث يكون استثناءً فقط. ومثل هذه الأصوات تسمع بين الأطفال، ونحن نستعملها في حالة النشيج أو الانتحاب[٥].

والصوت لغوياً: "عَرَضٌ يخرج مع النَّفَس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطعُ تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا، وتختلف أجراسُ الحروف بحسب اختلاف مقاطعها"[٦].

هذا التعريف مَعْنِيٌّ بملامح الصوت اللغوي دون سواه، والصوت بوصفه لغوياً في هذا البحث يَعنِي: تتبع الظواهر الصوتية لحروف المعجم العربي، من

حيثُ مخارجُ الأصوات ومدراجها وأقسامها وأصنافها وأحكامها وعللها، ودلائلها وخصائصها في أحوال الجهر والهمس، والشدة والرخاوة، وملامح صوائتها وصوامتها في السكون والحركة، وضوابطها في الإطباق والانفتاح، مما يتهيأ من خلال كتاب البصائر.

وعلى الرغم مما يُشاع في الدرس الصوتي الحديث من كون وظيفة الكلام وظيفة ثانوية تقوم بها أعضاء خُصِّصت للقيام بوظيفتي الأكل والتنفس، وعلى هذا جرى النظر إلى مصطلح "أعضاء النطق" بوصفه مصطلحاً يحمل تجوزاً في إطلاقه، فإنّ هذا الأمر بدا في الآونة الأخيرة مجانباً للصواب، حيث إن وظيفة الكلام لا تقلُّ عن وظيفة الأكل والتنفس، فَكَمَا أن هذه الأعضاء تقوم بالوظيفتين الأخيرتين على خير وجه، فكذلك كُوِّنَت أعضاءُ النطق لتقوم بوظيفة الكلام على خير وجه.

إن الملاحظة المهمة في هذا الشأن تبرز من وجود:

١- مرونة عالية في حركة اللسان تتجاوز وظيفة الأكل.

٢- عدة تجويفات، لها أثرُها الفعَّال في انتظام عملية التصويت.

والقول الذي يذهب إلى " أن الكلام يبقى أساساً نتاجَ أعضاءٍ تنتمي إلى الجهازين التنفسي والهضمي، فالأعضاء التي تُستعمل في التصويت هي أعضاء وظيفتُها الأساسية بقاء الإنسان والحفاظ على حياته، ثم تعددت وظيفتها في فترة لاحقة من تاريخ البشرية لتفي بأغراض الكلام" [٧]، هذا القول يدور في حيز تصور نظرية النشوء والارتقاء التي أتى بها دارون، وهي نظرية لم تثبت علمياً، في حين أن الدليل على خلاف ذلك أكثر وضوحاً، بل رفض بعض المحدثين[٨] ما يشاع من ذلك، حيث رأى أن هذه الأعضاء مثلما خُلقت للقيام بوظيفتي الأكل

والتنفس فكذلك خلقت لإنجاز وظيفة توليد الأصوات المختلفة، لما فيها من التجاويف والمرونة الحركية ما يفوق حاجات الإنسان لأداء الأكل والتنفس.

وقد ثبت من الناحية التشريحية وجود مراكز في المخ مسؤولة عن إدراك الكلام وإنتاجه [٩]، وعلى هذا، فإننا نرى أن الحكمة الإلهية اقتضت أنه مثلما تكون هذه الأعضاء للأكل، تكون للتنفس وتكون للنطق.

إننا نجد أن الفيروز آبادي لم يغفل أن يفرد بصيرة في الصوت، عرَّف فيها الصوتَ بقوله: " الصوتُ هو الهواء المنضغط عن قرع جسمين، والصوت ضربان: ضرب مجرد عن تنفس بشيء، كالصوت الممتد المتنفس بصورة ما، وهو ضربان: ضروري كما يكون في الجمادات وفي الحيوانات، واختياري كما يكون من الإنسان. وذلك ضربان: ضرب باليد كصوت العود ونحوه، وضرب بالفم وهو أيضاً ضربان: نطق وغير نطق: كصوت الناي. والنطق إما مفرد من الكلام وإما مركب كأحد الأنواع من الكلام، قال تعالى:" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**"[١٠]، وتخصيص الصوت بالنهي لكونه أعم من النطق والكلام، ويجوز أنه خصه لأن المكروه رفع الصوت فوق صوته لا رفع الكلام"[١١].

لقد أدرك الفيروز آبادي أن المادة الأولى للصوت هي الهواء الذي يتعرض لضغطٍ ما بفعل قرعٍ بين جسمين. وميز الصوت اللغوي عن غيره من الأصوات التي تَحْدث نتيجة ضربٍ باليد ونحوه. فالصوت اللغوي هو الصوت الذي محله الفم المكون للكلام، المفرد منه والمركب.

المبحث الأول ـ الصوت المُفرد

مخـــارج الصـــوت:

ما ذكره الفيروز آبادي من المخارج فهو على النحو الآتي، مرتباً وفق ورودها:

١ – الألف والهمزة:

عقد الفيروز آبادي للألِف بصيرة خاصة، قال فيها واصفاً الألِف بأنه: "حرف من حروف التهجي، هوائي، يظهر من الجوف، مخرجه قريب من مخرج العين" (١٢).

وهذا الرأي السائد في الدرس اللغوي العربي ابتداءً بالخليل بن أحمد الفراهيدي ومِن بعده سيبويه.

وقد يظهر من النَّص أن الفيروز آبادي وصف الألِف كما يصف بقية الحروف من امتلاكها مخرجاً محدداً قريباً من أول مدرجة من مدارج الجهاز الصوتي، وهي مدرجة العين.

في حين أننا نرى سيبويه يحسن وصف الألف وبقية حروف المد، وأعني بها **(الواو والياء)** في باب: "**هذا باب الوقف في الواو والياء والألِف**"، قال فيه: "وهذه الحروف غير مهموسات، وهي حروف لين ومد، ومخارجها متسعة لهواء الصوت، وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها، ولا أمد للصوت، فإذا وقفت عندها لم تَضُمَّها بشفةٍ ولا لسانٍ ولا حَلْقٍ كضمِّ غيرها، فيهوي الصوت إذا وجد متسعاً حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة"(١٣)، إذ إنها لا يمكن أن تُنْسَب إلى مخرج من المخارج كما هو الحال مع الأصوات الصحيحة أو الأصوات نصف المَدِّية **(الياء، الواو)** على وفق الدرس الصوتي الحديث، ويظهر أن

موضعها من خلال وجهة نظر تعامل الأصوات عند الوقف قريب من موضع الهمزة، وهو الأمر الذي يوضح كون **(الهمزة)** أُوْلَى الأصوات على مدارج الجهاز الصوتي لا **(العين)**، وهي مسألة كان الخليل وسيبويه قد أشارا إليها.

ونرى الفيروز آبادي قد استفاد من هذا القُرب بين **(الألِف والهمزة)** على نحو خاص بقوله: "والألِف الحقيقي هو الألِف الساكنة في مثل **(لا، ما)**، فإذا تحركت صارت همزة، ويقال للهمزة ألِف توسعاً لا تحقيقاً "[١٤].

لقد جرى الباحثون في الدرس النحوي العربي على أن يطلقوا **(الألِف)** على **(الهمزة)** أيضاً، ولا يخفى أن في ذلك إشعاراً بالعلاقة الصوتية المتداخلة بين صوتي **(الألِف)** و **(الهمزة)** من الناحية الفونولوجية [١٥]، على أن ذلك ربما أحدث نوعاً ما من الإيهام واللبس، ولهذا أراد بيانه بكونها **(ساكنة)**، بمعنى: أن **(الألِف)** لا يمكن أن تأتي بعدها حركة، وهي ناحية مهمة في بيان التشكيل المقطعي للأصوات، كما لا يخفى أن الرسم الكتابي قد يكون له أثر مهم في ربط **(الألِف)** بـ **(الهمزة)** على نحو خاص.

ولعل الرأي الأخير الذي نقله الفيروز آبادي يوضح هذا الأثر، إذ قال: "وقيل: **(الألِف)** حرف على قياس سائر الحروف، يكون متحركاً ويكون ساكناً، فالمتحرك يسمى: **(همزة)** والساكن **(ألفا)** "[١٦].

٢-البـــــاء:

اكتفي الفيروز آبادي بأن ذَكَر في بداية **(بصيرة في الباء)** – وهو الباب الثالث من البصائر التي تبدأ بحرف الباء – مخرجَ حرف **(الباء)**، بقوله: "حرف من الحروف المُتهجَّى بها، ومخرجه من انطباق الشفتين قرب مخرج الفاء "[١٧].

نرى أنه يقدم لنا الآلية التي بواسطتها يتم إنتاج هذا الصوت لا فقط ذِكْر المخرج، مع محاولته أن يكون أكثر دقة في تحديد المخرج، فأشار إلى قُربه من مخرج **(الفاء)**، ولم يذكر الفيروز آبادي صفتي الجهر والانفجارية اللتين يتصف بهما صوت **(الباء)**. وبالرغم من أنه نصَّ على "انطباق الشفتين"، فإنه لم يذكر شيئًا عن فتحهما فتحاً فجائياً لإنتاج صوت الباء.

٣-التـــــــاء:

قال في وصفه: "هو حرف هجاء، لثوي، في جوار مخرج الطاء"[١٨].

إن وصفَ **(التاء)** بكونه في جوار مخرج **(الطاء)** يتناقض مع رؤية سيبويه بكونهما من مخرج واحد إلا أنهما يختلفان في صفة الإطباق التي يتصف بها **(الطاء)** ولا يتصف بها **(التاء)**، فالتاء (مُرقَّقة) أما الطاء (مُفخَّمة)، ويمكن أن يكون الفيروز آبادي قد أراد بالجوار: الجوار المعنوي أو القُرب الصوتي بين صوتي **(التاء والطاء)** فيكون المخرج لا على صيغة اسم المكان بل على صيغة المصدر الميمي.

وقد خالف الفيروز آبادي – هنا – الخليلَ بن أحمد الفراهيدي وسيبويه في نسبة الحرف على وفق موضع نطقه، فقد نسبه الخليلُ إلى النطع مع صوتي الدال والطاء، "لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى"[١٩] ونَسَبه سيبويه إلى " طرف اللسان بينه وبين أصول الثنايا "[٢٠].

٤-الثـــــــاء:

قال في وصف **(الثَّاء)**: "حرف من حروف التَّهجِّي، لثوي، يظهر من أصول الأسنان، قريباً من مخرج الذال "[٢١].

والنسبة **(لثويّ)** إلى **(اللثة)**، وهي المنطقة المحززة فوق أصول الأسنان بينها وبين سقف الفم **(الطبق)**.

ووصفُهُ مخرجَ **(الثَّاء)** بأنه قريبٌ من مخرج **(الذَّال)** يشير إلى الشَّبه الواضح بين الصوتين، وهو شيءٌ ذهبت إليه الدراسات الحديثة، إذ إنَّ **(الثَّاء)** هو المقابل المهموس لـ **(الذَّال)** المجهور(٢٢)، وهو شيءٌ قد يؤكد أن مصطلح المخرج عند الفيروز آبادي يُحيل على الآلية التي يتم بها إنتاج الصوت لا كونه موضع احتكاك الهواء، أي: (المخرج المكاني).

٥-الجيـــم:

عقد الفيروز آبادي بصيرةً في صوت **(الجِيم)** وصفه بأنه: " اسم لحرف شَجْرِي، مخرجه مفتتح الفم، قريباً من مخرج الياء "(٢٣).

إذ ينسب الجيم إلى **(الشَّجْر)** وهو كما في القاموس: "مَخْرَج الفَمّ أو مُؤَخَّره أو الصامغ، أو ما انفتح من مُنْطَبِقِ الفم أو مُلتقى اللهْزِمَتَين أو ما بين اللَحيَين"(٢٤)، وذكر أن الحروف التي تنسب إليه تعرف بالحروف الشَّجْرِية وهي **(الجيم، الشين، الياء)**. وبتعبير آخر: فإن **(شَجْر الفَم)** استُعمل للإشارة إلى مناطق الفراغ الفموي بعد الفراغ الحلقي الذي يفصل بينهما منطقة اللهاة، التي هي موضع نطق القاف.

وكيفية إنتاج هذا الصوت عن طريق اتصال مقدم اللسان بمنطقة الغار اتصالاً محكماً يعقبه وقفة قصيرة يليها تسريع بطيء للهواء، مما ينتج صوتاً يجمع بين الانفجار والاحتكاك (مركب) (٢٥).

٦-الحـــاء:

عرَّفه الفيروز آبادي بأنه: " حرف من حروف التَّهجِّي، يُذَكَّر ويُؤَنَّث، مخرجه وسط الحلق، قرب مخرج العين "(٢٦).

فـ (**الحاء**) أحد الحروف الحلقية، أي تلك التي يكون موضع إنتاجها (أي اعتراض الهواء الخارج من الرئة) في (**الحَلْق**)، وهي المنطقة التي شغلت من الجهاز النطقي خلف (**اللهاة**) أدخل إلى قرب (**الحنجرة**). وقال الخليلُ: " فأقصى الحروف كلها **العين**، ثم **الحاء**، ولولا بَحَّة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين"(٢٧).

٧-الخـــاء:

قال الفيروز آبادي معرفاً حرف الخاء: " حرف من حروف التَّهجِّي، وهو من حروف الحلق قرب مخرج العين في أنحاء الحلق "(٢٨).

فـ (**الخاء**) ليست بذلك القرب من (**العين**) كـ (**الحاء**)، ولهذا احتاج إلى أن يوضح ذلك بأنه قريب، لكونهما من الحيز نفسه، وهو حيز الحلق. وقد قسَّم سيبويه الحلقَ إلى ثلاثة مخارج، فقال: " فللحلق منها (أي: المخارج) ثلاثة: فأقصاها مخرجاً: **الهمزة والهاء والألف**، ومن أوسط الحلق مخرج **العين والحاء**، وأدناها مخرجا من الفم: **الغين والخاء** "(٢٩)، وسيأتي في (بصيرة في الغين) ما يجعل فيه (العين) أقرب الحروف إلى الخاء.

٨-الـــدَّال:

وصف هذا الحرف بأنه من حروف طرف اللسان فقال: " الدَال: حرف من حروف التَّهجِّي، مخرجه من طرف اللسان قرب مخرج **التاء** "(٣٠).

ويُعَدّ (**التَّاء**) المقابل المهموس لصوت (**الدَّال**) المجهور، ومعنى ذلك أن (**التَّاء**) و(**الدَّال**) من مخرج واحد هو الأسنان واللثة مع حد اللسان وطرفه، ويوصف الصوت بأنه (أسناني لثوي)، إلا أن صفة الجهر تُمَيِّز (**الدَّال**) عن (**التَّاء**) الذي لا تهتز الأوتار الصوتية عند التصويت به.

٩- الـــــذَّال:

صوتٌ آخر من أصوات طرف اللسان، إذ يتصل بأصول الأسنان مع اهتزاز الوترين الصوتيين.

وقد اقتصر الفيروز آبادي على الوصف المخرجي **للذَّال** مهمِلاً ذِكْر صفته الصوتية، فقد وصفه بقوله: " حرف من حروف التَّهجِّي، لثوية، مخرجها من أصول الأسنان قرب مخرج **الثاء** "[٣١].

فقد شبهها بـ (اللثة)، وهذا يعني أن طرف اللسان يتصل باللثة، وعلى ما يبدو فإن اللثة عند الفيروز آبادي تعني منطقة أصول الأسنان، أي التي تنغرز فيها جذور الأسنان.

وكان الخليل قد وصفها باللثوية مع الظاء والثاء "لأن مبدأها من اللثة"[٣٢]، في حين رأى سيبويه أن "مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء"[٣٣]، والملاحظ أن الفيروز آبادي أقرب إلى كلمات الخليل منه إلى كلمات سيبويه.

وفي الدرس الصوتي الحديث يحدد المخرج بأنه " الأسنان مع حد اللسان" ويسمى الصوت حينئذ أسنانياً. ويتم إنتاج الذال والثاء والظاء، عن طريق ملامسة طرف اللسان للأسنان العليا بصورة تسمح بمرور الهواء، ولكن مع حدوث احتكاك استمراري [٣٤].

١٠- الـــــراء:

لم يذكر الفيروز آبادي مخرج الراء – كما كان متوقعاً، جرياً على منهجه – إذ خلا الموضع المتوقع فيه ذلك من أي إشارة إلى وصف مخرج الراء" [٣٥]، كما أننا لا نجد في بقية الكتاب ما يمكن أن نسد به هذه الثغرة.

فالراء يتم نطقه عن طريق ضرب طرف اللسان في اللثة ضربات متتالية (مكرر)، وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي قد وصف **(الراء)** مع **(اللام والنون)** بالذَّلقية "لأن مبدأها من ذلق اللسان، وهو تحديد طرفي ذلق اللسان"[٣٦]، أما سيبويه فقد ذكر أنها أدخلُ في ظهر اللسان قليلاً من مخرج **(النون)** الذي هو من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا، وذلك لانحرافه إلى **(اللام)**" [٣٧].

١١- الـــــزَّاي:

قال فيه: "حرف من حروف التهجي، أَسَليٌّ مخرجه، من قرب مخرج الذال"[٣٨].

لقد نسبه إلى الأَسَلَة [٣٩]، وهي "طرف اللسان"[٤٠]، وقد ذكر الخليل أن "**الصاد والسين والزاي** أَسَلِّية، لأن مبدأها من أَسَلة اللسان، وهي مستدق طرف اللسان"[٤١]. فالسين والزاي من مخرج واحد إلا أن السين مهموس، والزاي مجهور، وكذلك السين والصاد إلا أن السين مرقق، والصاد مفخم.

الملاحظ هنا كون **(الزَّاي)** – كما يراها الفيروز آبادي– تنتمي إلى طرف اللسان، من غير أن تكون بمثل ذلك التحديد الدقيق الذي تبنَّاه الخليل، كما أنها– في نظره – أقرب إلى مخرج الذال الذي مخرجه – كما مر سابقاً – في قوله: " لثوية، مخرجها من أصول الأسنان قرب مخرج الثاء"[٤٢].

يبدو أن هناك من الأصوات ما هو أقرب إلى الزّاي من الذّال، كـ (السين) و(الصاد) مثلا. لكن ما ينبغي لنا أن نتذكره هنا وجود تبادل صوتي بين الزّاي والذّال[٤٣]، وربما يُعد هذا مظهراً من مظاهر السهولة والتيسير بنقل المخرج إلى ما وراء الأسنان ويظهر ذلك أيضاً في بعض اللهجات الحديثة، **(ذِكْر، زِكْر – ذُلّ، زُلّ)** [٤٤]، كما في اللهجة المصرية.

أما سيبويه فقال: "ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزَّاي والسين والصاد"[٤٥]، ولم يذكر الفيروز آبادي صفة الصفير التي تُميز هذا الصوت مع السين والصاد عن بقية الصوامت، على أن إشارته إلى قُربه من مخرج (**الذال**) يحيل على تشابه في آلية إنتاج الصوتين، وهي مسألة أقرها الدرس الصوتيّ الحديث.

١٢- السِّين:

لم يذكر الفيروز آبادي عن (**السِّين**) ما كان يُتَوقَّع أن يذكره، كما سلك نفس المسلك مع (**الراء**).

وقد مر بنا أن الخليل نسب (**السِّين**) إلى أَسَلة اللسان، وهي مستدق طرفه، واصطلح سيبويه على (**السِّين**) وعلى زميلتيها في المخرج (الصاد **والزاي**) بالحروف الصفيرية [٤٦]، وهي عنده – سيبويه – المقابل المُرَقَّق للصاد المطبقة المفخمة، والمقابل المهموس للزاي المجهور، أي أنها لا تفترق عن الصاد إلا بالإطباق، ولا تفترق عن الزاي إلا بالجهر [٤٧].

١٣- الشين:

قال فيه إنه: "من حروف الهِجاء، شَجْرِيّ من مفتح (الأقوى: مفتتح) الفم، جوار مخرج الجيم"[٤٨].

لقد وضع الفيروز آبادي (**الشين والضاد والجيم**) في حيز واحد هو شَجْر الفم (وهو مفتتحه من جهة الحلق)، فهو يتبنى رأي الخليل الذي يرى أن " **الجيم والشين والضاد** شَجْرِيّة، لأن مبدأها من شَجْر الفم أي مفرج الفم "[٤٩].

أما سيبويه فقد اختار لهذه المنطقة التي اصطلح عليها بـ "وسط اللسان" بينه وبين وسط الحنك الأعلى أن تكون مخرجاً لـ (**الجيم والشين والياء**)، أما

مخرج **(الضاد)** فقد قال سيبويه عنه: "ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد"[٥٠]، فهو يضيف **(الياء)** إلى هذا الحيز، كما يرى أن **(الضاد)** ينحرف عن وسط اللسان إلى حافته المقابلة للأضراس. وعلى هذا يتم إنتاج الشين بطريقة نطق نصف العلة الياء، لكن مع ارتفاع مقدم اللسان أكثر بصورة تسمح بحدوث احتكاك زائد.

١٤- الصاد:

حرف من حروف الصفير، وهو حرف مُطْبق، يرتفع به اللسان حتى ينطبق مع سقف الفم (الطبق).

وقد وصفه الفيروز آبادي في (بصيرة في الصاد) بقوله: "حرف هجاء يظهر من طرف اللسان جوار مخرج السين"[٥١]. ولكن يفرق بينهما ترقيق السين، وتفخيم الصاد.

١٥- الضاد:

يتبنى الفيروز آبادي رأي الخليل بن أحمد الفراهيدي في وصف **(الضاد)** بالشّجريّة – تُنسب للشَّجْر وهو مفتتح الفم – إذ وصف الضاد بقوله: " حرف من حروف الهجاء، شَجْريٌّ مخرجها من مفتتح الفم "[٥٢].

ويعرف صوت الضاد بأنه أسناني لثوي، أي التقاء حد اللسان وطرفه مع الأسنان واللثة، ويشترك معه (التاء والدال والطاء)، فـ (الضاد) و(الدال) أخوان يشتركان في صفة الجهر، إلا أن الضاد مفخم، والدال مرقق.

لقد شَغَل الكلام على الضاد مساحة واسعة من التراث العربي، وعلى الرغم من ذَهاب هذا الصوت من العربية منذ وقت مبكر عن زمن النحويين فإنه

قد جرى وصف العربية بأنها (لغة الضاد)، كأن مَن اصطلح عليها بهذا عَمِل على محاولة الوقوف بوجه التغيير الصوتي بالتركيز على ذلك من خلال ربط اللغة العربية بالضاد.

١٦- الطَّاء:

سبق أن وقفنا على كون مخرج هذا الحرف أقرب إلى مخرج (**التَّاء**)، ومن هنا يصفه الفيروز آبادي بقوله: " حرف من حروف الهجاء، مخرجه طرف اللسان قريباً من مخرج التاء "(٥٣).

لكن الملاحظ أنه نسب (**الطاء**) إلى طرف اللسان، في حين نسب (**التاء**) إلى اللثة، وبهذا فهو يخالف الخليل الذي نسبها إلى نطع الغار الأعلى (٥٤)، ووافق بعضَ رأي سيبويه في نسبتها إلى طرف اللسان، في حين نسبها سيبويه إلى طرف اللسان بينه وبين فويق الثنايا (٥٥). ويفرق بين التاء والطاء ترقيق التاء وتفخيم الطاء.

١٧- الظَّاء:

وصفه الفيروز آبادي بقوله: "مخرجه من أصول الأسنان جوار مخرج الذال"(٥٦). وكان قد ذكر مخرج (**الذَّال**) من أصول الأسنان، ووصفها بـ (اللثوية)، ولم يصف (**الظاء**) بذلك، مما قد يعني أن الصوتين قد لا ينتميان إلى الحيز نفسه.

وكان الخليل قد رأى أن: "**الظاء والذال والثاء** لثوية، لأن مبدأها من اللثة"(٥٧)، في حين قال سيبويه: "ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج **الطاء والذال والثاء**"(٥٨). وعلى هذا فالفيروز آبادي أكثر قرباً إلى رأي الخليل منه إلى رأي سيبويه، لأن أصول الأسنان هي اللثة.

١٨- العين:

لم يذكر الفيروز آبادي مخرج **(العين)**، وهو الأمر نفسه الذي رأيناه في **(الراء والسين)**.

وقد ورد في المخارج السابقة ما يوضح كونَ مخرج **(العين)** في جملة مخارج الحلق، فمخرج **(الألف)** الذي يظهر كون مخرجها قريباً من مخرج **(العين)**، ومن الواضح أن أقصى الحلق أقرب المخارج إلى الجوف، وهو مخرج **(الهاء)** الذي يصفه الفيروز آبادي بكونه قريباً من مخرج **(الألف)** [٥٩].

وكون **(العين)** من أقصى الحلق مذهب سيبويه، واكتفى الخليل بكونها أقصى الحروف كلها، وهي تشارك **(الحاء والخاء والغين)** في الحلق.

١٩- الغين:

حرف آخر من حروف الحلق، قال عنه الفيروز آبادي في (بصيرة في الغين): "حرف من حروف الهجاء، مخرجه من أعلى الحلق جوار مخرج الخاء"[٦٠]. ويتم انتاج **(الخاء)** و**(الغين)** عن طريق تضييق المجرى بين الطبق اللين ومؤخر اللسان بصورة تسمح بمرور الهواء مع حدوث احتكاك مسموع، و**(الخاء)** مهموس بينما **(الغين)** مجهور.

وكان الفيروز آبادي قد قال في **(الخاء)**: " وهي من حروف الحلق قرب مخرج العين في أنحاء الحلق "[٦١].

ويبدو أن الأصح أن يكون الكلام قد اشتمل على تصحيف، إذ إنَّ الأقرب أنْ يكون مخرج **(الغين)** لا **(العين)** وهو أقرب إلى **(الخاء)**، وكذلك تحريف في أنحاء، إذ الأقرب (أعلى) الذي ينسجم مع الكلام المتقدم في مخرج **(الغين)**.

وكان الخليل قد وضع **(الغين)** في مرتبة رابعة من حيز الحلق بعد **(العين والحاء والخاء)** [٦٢]، أما سيبويه فقد وضعه في القسم الثالث من مخارج الحلق وهو أدنى الحلق، إذ قال: " وأدناها مخرجاً من الفم: **الغين والخاء** "[٦٣].

٢٠- الفاء:

هذا هو الصوت الأخير الذي لم يذكر الفيروز آبادي عن مخرجه أي شيء، سوى أنه حين ذكر مخرج الباء – كما مر سابقاً – قال: " ومخرجه من انطباق الشفتين قرب مخرج **الفاء** "[٦٤].

الدرس الصوتي الحديث يسمي هذا الصوت " شفوي أسناني"، حيث التقاء الشفة السفلى مع الأسنان العليا بصورة تسمح بمرور الهواء ولكن مع حدوث احتكاك، وهذا هو الصوت الوحيد الذي يخرج من هذا المخرج [٦٥].

٢١- القاف:

وصفه الفيروز آبادي بقوله: " حرف هجاء لهوي، مخرجه من اللهاة قرب مخرج الكاف"[٦٦]. و**(اللَّهاة)** هي اللحمة المتدلية ما بين الحلق وبداية الفراغ الفموي (شَجْر الفم).

ونلحظ أن الفيروز آبادي قد تبنَّى رأي الخليل، الذي رأى أن **(القاف والكاف)** لهويتان [٦٧]، أما سيبويه فقد قال: " ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج **القاف** "[٦٨].

٢٢- الكاف:

لقد نسب الفيروز آبادي الـ **(كاف)** إلى اللهاة، فقال: "حرف من حروف الهجاء، لهويّ، مخرجه من اللهاة جوار مخرج **القاف**"[٦٩].

وكان سيبويه قد ذهب إلى أن الـ **(كاف)** من موضع أسفل من موضع الـ **(قاف)**، ولعله أراد بـ (أسفل) كونها قبل مخرج القاف، أي متقدمة على أقصى اللسان، إذ قال: "ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج **الكاف**"(٧٠).

تجدر الإشارة إلى أن الباحثين قد فهموا كلام سيبويه هنا بأن الـ **(قاف)** متقدمة على **(الكاف)** التي تليها مباشرة، في حين أن سيبويه ذكر كونها أسفل من مخرج الـ **(قاف)**، وهو ما يعني كون الـ **(كاف)** أكثر عمقاً من الـ **(قاف)**، ومتقدمة عليها في مدارج الجهاز الصوتي. فالكاف صوت طبقي انفجاري، يتم إنتاجه عن طريق قفل الطبق اللين مع مؤخر اللسان، ثم فتحه فتحاً فجائياً.

٢٣- اللَّام:

قال فيه: " حرف هجاء من حروف الذلاقة، مخرجها ذَلْق اللسان، جوار مخرج النون "(٧١).

وذلق اللسان كما يقول الخليل: " وهو تحديد طرفي ذلق اللسان "(٧٢). وتشترك **(اللام)** مع **(النون)** في حيز واحد مخرجها ذلق اللسان. فصوت الـ (لام) يتم نطقه عن طريق اتصال طرف اللسان باللثة اتصالاً محكماً يمنع مرور الهواء من الأمام، ولكن يسمح بمروره إما من أحد جانبي اللسان، أو من كلا الجانبين.

ويوحي قول الفيروز آبادي بأن لحرف الـ **(لام)** مخرجاً مستقلاً، كما أن لـ **(النون)** مخرجاً مستقلاً أيضاً، وكذلك الأمر لحرف الـ **(ياء)**، وهو الأمر الذي يبدو خلاف رأي الخليل الذي يجعلها من مخرج واحد.

وكان سيبويه قد جعل لكل منهما مخرجاً مستقلاً، فقد قال في الـ **(لام)**: " ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام "[٧٣].

ويلاحظ أن الفيروز آبادي فضَّل أنْ يكون أقرب إلى رأي الخليل منه إلى رأي سيبويه الذي كان في وصفه مخارجَ الأصوات أكثر دقة من أستاذه الخليل.

وكان الخليل قد أشار إلى انحراف هذه الحروف عن ظهر اللسان [٧٤]، وحروف الذَّلاقة عند بن جني ستة هي: **اللام والراء والنون والفاء والباء والميم.** والثلاثة الأولى: ذلقية، والثلاثة الأخرى: شفوية.

٢٤- الميم:

هو "حرف شفويّ من حروف الهجاء يظهر من انطباق الشفتين قرب مخرج الباء "[٧٥].

ففي حالة قفل الشفتين مع إنزال الطبق اللين يمر الهواء من تجويف الأنف منتجاً صوت الميم (أنفي).

ويلاحظ أن الفيروز آبادي ركّز اهتمامه على الوصف المخرجي للحرف مهملاً ذِكر صفته المميزة وهي الغُّنة، ويماثل عملُ الفيروز آبادي عملَ سلفه الخليل بن أحمد، الذي اكتفى في أولى خطوات الدرس الصوتي العربي الذي بدأه بذكر المخارج دون الصفات الصوتية، وهو الأمر الذي ركز سيبويه جهده عليه بالنظر للأهمية الذي تتخذها الصفات الصوتية في بيان التطورات الصوتية التي طرأت على الألفاظ العربية مفردة وفي أثناء الكلام، فيما عُرِف بظواهر الإبدال والإدغام والقلب والوقف وغيرها.

كما نلحظ أن الفيروز آبادي ذكر أن الميم "حرف شفوي" وهذا المصطلح يتميز بالاختصار ومطابقة فواعد الصرف ولكن يعيبه عدم الدقة [٧٦]

وتبنَّى الفيروز آبادي رأي الخليل الذي قال الليث عنه: " وكان الخليل يسمِّي الميم مطبقة لأنها تطبق الفم إذا نطق بها "[٧٧].

٢٥- النون:

وصفه بأنه: "حرف من حروف التَّهجِّي ذَوْلَقِيّ، مخرجه قرب مخرج اللام"[٧٨].

عبر عنه بـ (ذَوْلَقِيّ) لأن هذا الحرف أحد حروف الذلاقة "لأن الذلاقة في المنطق، إنما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين "[٧٩].

ولم يشر إلى صفة الغُنّة التي تتصف بها **(النون)** مع **(الميم)**، وهي الصفة التي تتولد عن طريق مرور جزء من الهواء بالممر الأنفي عبر مدخل الخيشوم.

وكان سيبويه قد وصف النون مخرجياً بقوله: " ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون "[٨٠]. على أن النون الأنفية يتم نطقها عن طريق اتصال طرف اللسان اتصالاً محكماً يمنع مرور الهواء، وتخفيض الطبق اللين ليسمح بمرور الهواء من تجويف الأنف (أنفي) [٨١].

٢٦- الواو:

يُعَدُّ هذا الحرف في العربية ذا قيمتين صوتيتين، إذ يُعبَّر به عن صوت المد الطويل كما في (طور، ودور)، ويعبر به عن صوت نصف المد (قول / أقوام).

وقد وصف الفيروز آبادي هذا الحرف بقوله: " حرف من حروف الهجاء، شفويّ يحصل من انطباق الشفتين جوار مخرج الفاء"(٨٢).

وعلى ما يبدو فإن انطباق الشفتين الذي يعنيه الفيروز آبادي ليس ذلك الانطباق الذي يحدث عند التصويت بحرف الميم الذي سبق أن ذكرنا وصف الفيروز آبادي له بإطباق الشفتين، فالإطباق هنا هو تدوير الشفتين من غير أن يمنعها مرور الهواء من بينهما.

وقد تبنى الفيروز آبادي في نسبة هذا الحرف إلى الشفة رأي سيبويه الذي قال: " ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو "(٨٣)، في حين نَسَبَها الخليل إلى مدرجة من المدارج الصوتية هي واختيها **الألِف والياء**، كما تبين لنا فيما نقلناه عنه في كلامنا حول (الألف والهمزة).

وإذا كان سيبويه قد نسبها إلى مخرج محدد، فإنه لم تغب عنه سيمتها الصوتية المتمثلة بكونها من الحروف التي يمد بها الصوت ولا يمدها حلق أو لسان أو شفة واتسع المجرى لهوائها.

٢٧- الهاء:

وصف الفيروز آبادي هذا الحرف بقوله: " حرف من حروف الهجاء، مخرجه من أقصى الحلق من جوار مخرج الألف"(٨٤).

وكان الفيروز آبادي قد ذكر في (بصيرة في الألف) كونها من جوار مخرج **(العين)**، وعلى ذلك كان مخرج **(العين)** – كما ذكرنا في محلها – من أقصى الحلق مع الهاء.

وكون الهاء من أقصى الحلق هو ما ذهب إليه كلٌّ من الخليل وتلميذه سيبويه رائدي الدراسة الصوتية العربية، إذ جعلها الخليل في أقصى الحروف مخرجاً بعد الحاء: " لولا هتة في الهاء، وقال مرة (ههة) لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء، فهذه الثلاثة (يعني: **العين والحاء والهاء**) في حيز واحد بعضها أرفع من بعض"(٨٥).

وقال سيبويه:" وللحروف العربية ستة عشر مخرجاً، فللحلق منها ثلاثة: فأقصاها مخرجا: **الهمزة والهاء والألف**"(٨٦).

٢٨- الياء:

ذكر الفيروز آبادي في وصفه مخرج (**الجيم**) أنه قريب من مخرج (**الياء**)(٨٧)، وجعل ههنا (**الياء**) أقرب إلى مخرج (**الضاد**) الذي ذكر أنه من مفتتح الفم(٨٨)، إذ قال فيه: "وهي حرف هجاء شَجْرِيّ، مخرجه من مفتتح الفم جوار مخرج الضاد"(٨٩).

والياء من جملة الحروف التي ذكرها الخليل في أنها لا تنسب إلى مدرج من مدارج الجهاز النطقي، وهي هوائية ومبدؤها الجوف (٩٠).

أما سيبويه فقد ذكرها في جملة المخرج السادس وهو قوله: " ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج **الجيم والشين والياء** "(٩١)، وهو أقرب الى أن يكون مخرج شَجْر الفم الذي ورد ذِكره عند الخليل؛ ولعل منشأ قربها من مخرج (**الضاد**) يتأتَّى من ترتيب سيبويه المخارجَ، إذ وصفها بعد المخرج السابق الذِّكر الذي آخرُه الياء فقال: " ومِن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد "(٩٢).

المبحث الثاني : الظواهر الصوتية

هذه الظواهر – كما وردت في كتاب البصائر – تتمثل في:

١ – ظاهرة الإبدال:

يُعرَّف الإبدال بأنه " جَعْل حرفٍ مكانَ حرف غيره "[٩٣]، وهو بهذا عام لأنواع (القلب) جميعها التي منها ما يحدث عند الإدغام، لكنهم – على ما يبدو من كلام رضيّ الدين الاسترآبادي – خصُّوه بالإبدال الذي لا يَحدث عنه الإدغام، قال الرضيُّ– مشيراً إلى ذلك – عند كلامه عن الإبدال: " والقلب الذي للإدغام ليس مما نحن فيه"[٩٤]، نلحظ ورود مصطلح القلب بمعنى الإبدال، وقال أيضا: "الإبدال في اصطلاحهم أعم من قلب الهمزة، ومن قلب الواو والياء والألف"[٩٥]، ونبه على ذلك كلٌ من الأشموني والصبان: " وإنما المراد البدل من غير الإدغام "[٩٦].

وقد أشار الفيروز آبادي إلى دلالة الإبدال العامة من خلال وقوفه على المعنى اللغوي للإبدال، إذ قال: " وهو الشيء يكون مكان آخر، وهو أهم من العوض، فإن العوض هو أن يصير لك الثاني بإعطاء الأول، والتبديل، والإبدال، والاستبدال: جعل الشيء مكان آخر "[٩٧].

بالنظر إلى ما تقدم، فإننا سنُهمل الحديث هنا عن الهمزة والحروف المعتلة، إذ سنفرد لهما محلَّيْن خاصَّيْن بهما فيما يصطلح عليه بـ (ظاهرة الهمز) و(ظاهرة الإعلال)، فهذه الأصوات تمتلك سلوكاً فونولوجيا (وظيفياً) يفردها عن غيرها من الأصوات الأخرى، وسنأتي إلى تفصيل هذا لاحقا.

أما الآن فسنحاول عرض مظاهر الإبدال التي وقف عندها الفيروز آبادي في كتابه (البصائر) مبتدئين بأولها مخرجاً، ومنتهين بآخرها مخرجا، وعلى وفق التقسيم الحديث للأصوات.

ويعود هذا الاختيار إلى كون هذه الظاهرة ذات مساس بتطور الأصوات في حالة تأثر بعضها ببعضها الآخر، وهي مسالة شغلت حيزاً لا بأس به من الدراسات الصوتية الحديثة التي حاولت تسويغ حصول هذه التطورات في إطارٍ من فهمٍ جديد، وان لم يكن غاية في الجدة، يأخذ بعين الاعتبار مخرج الصوت وصفاته وموقعه من الكلمة والسياق اللغوي المحيط به ونحو ذلك.

أ- الإبدال في حروف الشفة:

وهي (**الميم والباء والفاء**)، وذكر الفيروز آبادي تبادل الحرفين (**الميم والباء**) في الإبدال، فقال:" ومِن أقسام الباء: الباء المُبدَلة، كـ (مكة وبكة)، و(لازم ولازب)"[٩٨]، وقال:" الميم المبدلة من الباء نحو (بنات بخر) و(بنات مخر)"[٩٩].

ولم يحاول الفيروز آبادي تعليل هذه الظاهرة، بل الملاحظ أنَّ اصطلاحه بـ (الباء المُبْدَلَة) و(الميم المُبْدَلَة) يكاد يوحي بأنها حالة طبيعية، وأن لبعض الحروف مواضع توصف بها بـ (المُبْدَلة)، ولا تُستعمل إلا في هذه المواضع ونحوها.

وذَكَر إبدال (الميم من النون)، وهو من الأصوات اللَّثويّة فقال: " الميم المبدلة من النون كـ (البنام) في (البنان)"[١٠٠]. وعلى الرغم من البُعد بين مخرجي الحرفين فإن اشتراكهما في الصفة المميزة (الغُنَّة) هو الذي أمكن الاستغناء عن التمييز الحاصل بالنقطة المخرجية والاكتفاء بالصفة الصوتية. في حين كان الأمر مختلفاً نوعاً ما مع (**الباء**)، إذ جرى التمسك بالنقطة المخرجية والتنازل عن الصفة الصوتية (الغُنَّة في الميم) لصالح صفة انطباق الشفتين عند نطق (الباء).

ب- الإبدال في حروف اللثة:

وهي حروف **(النون والراء واللام)**، قال الفيروز آبادي: "النون المُبدلَة من اللام: هَتَلت السماء وهتنت"(١٠١)، وقال في إبدال (الراء) (لاماً): "و(الفَرْق) و(الفلق) إخوان، وكذا (فَرَق الصبح وفلقه)، والفَرَق بالتحريك: الخوف الذي يفرق القلب"(١٠٢).

ويمكننا تفسير الإبدال الحاصل ما بين **(اللام والنون)** بالعودة إلى الخصائص الصوتية التي تجعل من هذه الأصوات طائفة متميزة عن غيرها، إذ إنها تشتمل على اعتراضٍ تام للهواء يعمل على غلق المَجْرَى الهوائي، وهو ما يؤدي إلى أن يتخذ الهواء له طريقاً آخر هو الممر الأنفي في النون، وهو ما سبَّب حدوثَ الغُنَّة، أو أن ينحرف إلى جانب اللسان في اللام، وكذا الحال في (الراء).

لكن الأمر هنا يشتمل على مخالفةٍ ما تكمُن في تحديد الاعتراض التام بفعل ضغط الهواء الذي يعمل على إزاحة هذا الاعتراض، وهو ما سبب حركه تكرارية لطرف اللسان.

ت- الإبدال في حروف طرف اللسان (اللثوية):

وهي حروف **(التَّاء، الدَّال، الطَّاء)**، يقرر علمُ اللغة الحديث حدوثَ التبادل بين هذه الطائفة من الأصوات، وذلك لما بين أفرادها من تقارب، إذ تشترك جميعُها في النقطة المخرجية، ولا تختلف إلا من جهة الصفات.

إن **(الدَّال)** يُعدُّ المقابل المجهور لـ **(التَّاء)**، كما أن **(الطَّاء)** يُعدُّ المقابل المفخم له **(التَّاء)**، ويُعدُّ النظير المهموس والمرقق لهما، ولعل ذلك أدى بالصيغة المشهورة (افتعل) إلى أن تعامل بوصف الإبدال فيها إبدالاً قياسياً، ونعني به إبدالاً ترتضيه العربية، وينسجم مع بنيتها الصوتية من نحو: (اضطر، اضطرم) وغيرهما.

ومن ذلك ما ذكره مؤلف البصائر في (بصيرة في استطاع) إذ قال: "ويقال فيه استاع واسطاع، قال تعالى ﴿فَمَا اسطاعوا أَن يَظهَروهُ وَمَا استَطاعوا لَهُ نَقبًا﴾ (١٠٣)، قال:

تَكَثَّر مِن الإخوان ما اسطَعْتَ إنَّهُمُ * عمـادٌ إذا إستَنْجَدْتَهُمْ وظهـورُ**

فمـا بكثيـرٍ أَلـفُ خِـلٍّ وصـاحبٍ * وإنْ عـدوا واحـداً لكثيـرُ** (١٠٤)

وقال في بصيرة **(الطَّاء)**: "والطاء المبدلة من التَّاء نحو: اصطلح واصطبر "(١٠٥).

ويبين هذا المثال أن **(التَّاء)** قد تأثرت بالإطباق في الحرف السابق لها وهو **(الصَّاد)**، الأمر الذي أدى إلى أن تكتسب هذه الصفة، فتتحول إلى نظيرها المنطبق وهو **(الطَّاء)**، وهكذا الحال مع (اصْطَبَر).

ويظهر أنَّ هذا التحول ارتبط بهذه الصيغة، وهو الشيء الذي أدَّى إلى حدوث تحولاتٍ صوتية أخرى قد لا يؤخَذ فيها وجود صوت سابق مطبق، وهو ما حدث مع المثال الأول في نحو: استاع واسطاع.

ويحدث إبدال بين **(الطَّاء)** و **(الدَّال)** كقوله: "الطَّاء المبدَلة من الدَّال نحو: **انقطت** مكان **انقدت** "(١٠٦)، ولعل الأمر مرتبط بوجود الصوت المستعلي **(القاف)** قبل **(الدال)**، إذ إن الاستعلاء يقتضي أن يُرفَع ظَهْر اللسان عند النطق، وهو وضع يستمر إلى حين النطق بالصوت التالي، إذا أخذنا بعين الاعتبار السرعة المطلوبة في نطق الأصوات خاصة عند الكلام.

وينحو ذلك بـ **(الدال)** إلى أن تتحول إلى مقابلها المهموس المطبق **(الطاء)**.

وذكر الفيروز آبادي إبدال (**التاء**) من (**الواو**) ومن (**السين**)، فقال في نحو (التراث والطست): إن أصلهما (الوراث والطسّ) [١٠٧].

ومثل ذلك في بصيرة (ورى) عند الكلام على لفظة (التوراة) وهي (تَفْعِلة) من (وَرِيَ الزند)، إذا كانت التاء زائدة، أصله: ووراة، بإبدال الواو تاء [١٠٨].

إننا لا نستطيع أن نتبين الجهة الصوتية التي تم من خلالها هذا الإبدال، ويمكن إرجاعه إلى الناحية الصرفية إذ أملى التصوّر الخاص بالمادة الأصل رجوع (**التاء**) إلى (**الواو**) التي تظهر في المادة الأصل (وري).

ومثل ذلك في بصيرة (الجِبْت) إذ تبدل إلى (الجبس) وهما " الفسل الذي لا خير فيه "، ويعلل ذلك تعليلاً دلالياً ظريفاً، فيقول: " وقيل: **التاء** بدل **السين** تنبيهاً على مبالغته في الفسولة، كقول الشاعر:

عَمْرو بن يَربُوع شِرارَ النات

أي: خساس الناس[١٠٩]، وعُرِفت هذه الظاهرة في اللهجات بـ (الوتم)[١١٠]

ويقول في إبدال (الدّال من التّاء)، ويعني ذلك أن (**التّاء**) تحولت إلى مقابلها المجهور. ويَشْتَرِط الفيروز آبادي لحدوث هذا الإبدال وجود (**الجيم**)، إذ قال: "الدّال المُبْدَلة من التّاء إذا كان بعد جيم نحو قوله تعالى: ﴿وَكَذلِكَ **يَجتَبيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأويلِ الأَحاديثِ**﴾ [١١١]، وقرئ في الشاذ (يَجْدَبِيك) [١١٢]، وقال الشاعر:

فقلتُ لصاحبي لا تجبسنَّا * ينزع أصوله وأجدزّ شِيحَا**

أي: أجتزّ "[١١٣].

ونُرَجِّح أن الظاهرة المتبعة في نطق (**الجيم**) بـ (القلقلة) هي المسؤولة عن اكتساب (**التاء**) الجهر وتحوله إلى الجهر فيصبح دالاً.

ولعل الأمر قد يبدو مغايراً لما سبق، وذلك بإرجاع التأثير إلى الصوت التالي له أي: صوت (**الزّاي**) المجهور، وعلى وفق نظرية الحرف الأقوى في تسويغ التصورات الصوتية التي جاء بها (جرامونت) [١١٤] يمكننا أن ندعي تأثر (**التاء**) بالجهر في (**الزاي**)، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار ما حدث في نحو (ازدَهَى وازدان).

ث- الإبدال بين حروف طرف اللسان وأطراف الثنايا (الثّاء، الذَّال، الظَّاء):

قد تبدل (**الظَّاء**) من (**الذَّال**) وتسمى هذه الظاء بـ (الظاء المبدلة)، وقال عنها الفيروز آبادي: " والظَّاء المُبْدَلة في نحو: وقيظ ووقيذ "[١١٥].

ومن الملاحظ أنَّ الذي حدث هنا يكمن في أن (**الذَّال**) المتحدة مخرجاً مع (**الظَّاء**) اكتسبت الإطباق، فتحولت إلى (**الذَّال**) المطبقة التي هي الظاء.

ولعل وجود الصوت المستعلي (**القاف**) في (وقيذ) هو المسؤول عن حدوث هذا التطور في هذه الكلمة.

ويحدث أنْ يكتسب صوت (**الثّاء**) المهموس صفة الجهر، فيتحول إلى صوت (**الذَّال**)، وقد لاحَظَ الفيروز آبادي ذلك فقال في أنواع الذَّال: " الثامن: **الذَّال** المُبْدَلة من **الثّاء**، نحو تلعثم في كلامه وتلعذم "[١١٦]، فالظاهر أن صوت (**الثّاء**) قد اكتسب الجهر بتأثير الأصوات المجاورة له، وبهذا يتحول إلى نظيره المجهور الذي هو (**الذَّال**).

وذكر الفيروز آبادي ما يفيد في بيان أن الخلط بين صوتي **(الظاء والضاد)** ومعهما **(الصاد)** قد يعتمد على خطأ في الكتابة، وهو من جملة ما يذكره المحدثون في بيان بعض التطورات، إذ قال في بصيرة (الضَّاد): " الضَّاد المبدَلة: إما من الصاد كالنصنصة والنضنضة للحركة، وإما من الظاء كما في قول الشاعر:

إلى اللهِ أشكو من خليلٍ أودُّه * ثلاثَ خلالٍ كُلُّها لِي غَائِضُ**

أي: غائظ "[١١٧].

مع أنه يمكن تفسير هذا التطور من الجانب الصوتي لِما بين **(الضاد والظاء)** من تقاربٍ مخرجي، وكونهما مطبقين مجهورين، في حين نرى أن الحالة في الإبدال من **(الصاد)** قد يكون الأرجح فيها أن تكون نتيجةَ خطأ كتابي، إذ إن **(الصَّاد)** مهموس وصفيري، وإن كان قريباً من **(الضَّاد)** في المَخْرَج.

ج- الإبدال في الحروف الشَّجْرِية:

وحروف الشَّجْر (وهو مخرج الفم) هي: **(الجيم والشين والياء)** المتحركة".

ولعل أبرز ما ذُكر في الإبدال الخاص بهذه الحروف، ما كان من إبدال (الياء المُشدَّدة) (جيماً)، إذ جاء قولُه: " الجيم المبدَلة من الياء المشدَّدة نحو: (أجَّلَ)، في (أيَّلَ)، و(علجّ) في (عليّ)، أو من ياء النسب نحو: (دارِجّ) في (دارِيّ)، قال الشاعر:

"يا رب إن كنتَ قبلتَ حِجَّتِجْ"

أي حِجَّتِي "[١١٨]، وقد أُبدِلَت من الياء المخففة.

قال ثعلب في مجالسه: " أُبدِلت من الياء الجيم في التشديد لقُرْب مخرجها، ولا بأس أن تجيء في الياء المخففة مثل: حجتي. وأنشد [١١٩]:

لَاْهُمَّ إنْ كنتَ قبلتَ حِجَتِجْ * فلا يزالُ بازلٌ يأتيك بِجْ** [١٢٠]

وقد فسَّر ابنُ يعيش هذه الظاهرة فقال: " إن (الجيم) شديدة، ولولا شدتها لكانت (**ياء**)، وإذا شُدِّدَت (**الياء**) صارت (**جيما**) "[١٢١].

وأحسب أن قلب (**الياء**) (**جيما**) في الوقف إنما كان بسبب من الضغط على (**الياء**)، فـ (**الياء**) إذا ضُغِطت انقلبت إلى (**الجيم**) "[١٢٢].

ولعل المسألة في هذا الإبدال ترتبط بناحية مقطعية عند الوقف، إذ جرى في العادات اللغوية أنْ يَضْعُف النطق بالأصوات التي تكون في نهاية الكلام أو الكلمات، زيادة على كون (**الجيم**) أحد حروف القلقلة، وهي الظاهرة التي – على ما يبدو – جيء بها للمحافظة على هذه الأصوات [١٢٣].

وتختلط هذه الظاهرة بظاهرة أخرى عُرفت بـ (عجعجة قضاعة) التي يُشتَرط فيها لقلب الياء جيماً وجود العين قبلها [١٢٤].

ولم يذكر الفيروز آبادي إبدالاً آخر يقع بين أفراد هذه المجموعة، ولكنه ذكر أن (**الشين**) تُبدل مكان (**كاف المخاطبة**) على نحوٍ خاص، وسيأتي الكلام عليها.

ح- الإبدال في حروف أقصى الفم (القاف، الكاف):

ذكر الفيروز آبادي في الإبدال بين هذين الحرفين ما يُسَمَّى بالقاف المبدَلة من الكاف، والكاف المبدلة من القاف، كما ذكر أن الشين تُبْدل من الكاف التي للمخاطبة المؤنثة.

فالأول قوله: " القاف المُبدَلة من الكاف: أعرابيٌّ قُح وكح، أي: محض خالص﴿**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ**﴾ (١٢٥) و (لا تكهر) (١٢٦)، قرأ بها ابنُ مسعود رضي الله عنه " (١٢٧).

والصحيح أن هذا الإبدال يقتصر على بعض اللهجات، وإلى ذلك أشار ابنُ سيده(١٢٨)، ولعل قراءة ابن مسعود رضي الله عنه تدل على اختصاص الإبدال بقبيلة هُذَيل التي ينتمي إليها ابن مسعود.

أما إبدال **(الكاف)** من **(القاف)** فقوله: " الكاف المُبدَلة من القاف: امتقَّ وامتكَّ، وتمعق وتمعك "(١٢٩).

ويمكن أن نلحظ أن الإبدال الوارد هنا يرجع إلى كون الحرفين متقاربين في صفاتهما الصوتية، زيادة على تقاربهما المخرجي، فكلاهما مهموسٌ انفجاري.

أما إبدال **(كاف المخاطَبَة)** **(شيناً)** فهو لهجة لبعض العرب وهم بنو تميم، ويعرف هذا السلوك الصوتي بـ (كشكشة تميم) (١٣٠)، فـ " الشين المُبدَلة من كاف خطاب المؤنث نحو: بِشِ وعَلَيْشِ (يقصد بِكِ وعَلَيْكِ). قال الشاعر:

فَعَيْنَاشِ عيناها وجِيدُشِ جِيدُها * ولكنَّ عَظْم السَّاقِ مِنْشِ دقيقُ** "(١٣١)

وينسب سيبويه هذه الظاهرة إلى تميم وأَسَد، ثم يفسِّرها فيقول: " فأما ناسٌ كثير من تميم وناسٌ من أسد فإنهم يجعلون مكان **الكاف** للمؤنث **الشين**، وذلك أنهم أرادوا البيان في الوقف، لأنها ساكنة في الوقف، فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث، وأرادوا التحقيق والتوكيد في الفصل، لأنهم إذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف كأنه أقوى من أن يفصلوا بحركة، فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث بهذا الحرف، كما فصلوا بين المذكر والمؤنث **بالنون** حين قالوا: ذهبوا

وذهبن، **وأَنْتُمْ وأَنْتُنّ**، وجعلوا مكانها أقرب ما يشبهها من الحروف إليها لأنها مهموسة، كما أن الكاف مهموسة، ولم يجعلوا مكانها مهموساً من الحلق لأنها ليست من حروف الحلق، وذلك قولك: إِنَّشِ ذاهبة، ومَالْشِ ذاهبة، يريد: إِنَّكِ ومالَكِ "(١٣٢).

يعمل سيبويه على تفسير هذه الظاهرة في ضوء سلوك لغوي، هو إرادة إبراز الفارق بين المذكر والمؤنث كما فرقوا بين ذهبوا وذهبن وأنتم وأنتن (١٣٣).

خ- الإبدال في حروف الحلق:

وهي حروف **(العين، والغين، والهاء، والحاء، والخاء)**، وقد ذكر الفيروز آبادي طائفة من النصوص التي توضح حدوث الإبدال بين هذه الحروف، كما يأتي:

أ- **إبدال (الحاء عيناً)**، وهو ما اشتُهر عند اللغويين بـ **(الفحفحة)** (١٣٤)، التي اتفقوا على كونها لهجة لهذيل، والمشهور منها ما يُرْوى عن الصحابي الجليل عبد الله ابن مسعود – رضي الله عنه – في قراءة الآية: ﴿**ثُمَّ بَدا لَهُم مِن بَعدِ ما رَأَوُا الآياتِ لَيَسجُنُنَّهُ حَتّى حينٍ**﴾(١٣٥)، حيث قرأ (عتَّى حِينٍ) بدلاً من (حتى حين) (١٣٦).

قال الفيروز آبادي: وقد يبدل (حاؤها) (عيناً)، وقرئ في الشاذ **(عتَّى حِينٍ)** قرأ بها ابنُ مسعود – رضي الله عنه –، فلما بلغ ذلك عُمَر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: إن القرآن لم ينزل على لغة هُذيل، فأقرئ الناس بلغة قريش. قال الفَرَّاء: حتى لغة قريش وجميع العرب إلا هذيلاً وثقيفاً فإنهم يقولون: (عتَّى). وأشدني بعضُ أهل اليمامة:

لا أَضَعُ الدَّلوَ ولا أُصَلِّي * عَتَّى أرى جِلَّتَهَا تُوَلِّى**

صَوَادِراً مثلَ قِبابِ التَّلِّ "[١٣٧]

وقد ورد عكسُ هذا الإبدال في موضع آخر ففي بصيرة (نَعَم): " وقرأ ابن مسعود نَحَم، بإبدال العين حاءً "[١٣٨].

وقد تكون هذه الظاهرة منسجمة مع بعض ما وُجِد في اللغات السامية والعربية الجنوبية من إبدال الحاء عيناً [١٣٩].

ب- **إبدال (العين غينا)**، حيث قال[١٤٠]: " يكون (الغين) بدلاً من **(العين)** في نَشُوع ونَشُوغ [١٤١]، وارْمَعَلَّ وارْمَغَلَّ [١٤٢] ". ولعل هذا الإبدال لم يحدث في الحقيقة إلا بفعل التصحيف. وقد ساق اللغويون [١٤٣] أمثلة عدة لبعض ما يتوهم فيه الإبدال وهو في الحقيقة تصحيف.

ت- **إبدال (الحاء خاءً)**، فمن أنواع الخاء: " الخاء المبدلة من الحاء، نحو: خَمَصَ الجُرح وحَمَصَ، إذا تورَّم "[١٤٤]. وقد نقل وقوعَ الإبدال وتعاقبه بين الحرفين أبو الطيب في كتابه الإبدال [١٤٥]. ولا يبعد وقوع الإبدال بين الحرفين إذ كلاهما حَلْقيّ مهموس " وقد حدث التبادل بين هذين الحرفين في السَّاميّة الأم والعبرية "[١٤٦].

ث- **إبدال (الحاء هاءً)**، فـ "الحاءُ المبدَلة نحو: مَدَحَ ومَدَهَ، وأَنَه أُنُوهاً وأَنَحَ: إذا زَحَرَ عند السؤال"[١٤٧]، (والزحير: صوتٌ مع أنين). وقد نقل اللغويون مظاهر أخرى[١٤٨] لهذا الإبدال، إذ الحرفان حلقيان مهموسان، وكما يقول الخليل: "ولولا هتةٌ في الهاء لأشبهت الحاء لقرب مخرجها منها "[١٤٩]. وهذه " السِّمة اللهجية فارسية تأثرت بها القبائل العربية التي كانت تتاخم حدود فارس "[١٥٠]، وكان يعاب

على زياد بن أبية هذه اللهجة بأنه يتكلم لُكْنة فارسية. ولا يخفى أن هذا لا يلغي كون اللغة تنحو إلى قبول الإبدال بين الحرفين – كما تقدم – من تقاربهما مخرجاً وصفة، وقد ذكر الفيروز آبادي ما سماه بـ: " حاءُ العجز والضَّرورة، كقول الهنود: **الهَمْدُ لله** "[١٥١]، يعني **(الحمد لله)**.

د–إبدال بعض الحروف الصحاح (ياءً):

ويمكن تقسيم هذه الظاهرة إلى ثلاثة أقسام، بحسب المسوغ لهذا التحول الصوتي، على النحو الآتي:

١– إبدال الحرف إلى **(ياء)**، وهو في الحقيقة تعويضٌ للحرف بصوت **الياء**، بإشباع كسرة الحرف السابق، لعدم وجود العلاقة الصوتية المسوغة للتبادل بين ذلك الحرف والياء، ومظاهر هذا الإبدال هي:

أ- إبدال (الباء ياءً): " كالثعالي في ثعالب "[١٥٢]

ب- إبدال (الثاء ياءً): " كالثالي في الثالث "[١٥٣]

ت- إبدال (السين ياءً):"كالسادي والخامي في السادس والخامس"[١٥٤]

ث- إبدال (العين ياءً): " كالضفادي في ضفادع"[١٥٥]

ج- إبدال (الكاف ياءً): " كالمَكَاكيّ في جمع مكوك"[١٥٦]

٢– إبدال أحد الحرفين المتماثلين أو المُضعَّفين **ياءً**، سواء كان ذلك في أول المتشابهين أو في الثاني أو في الثالث، تخلصاً من اجتماع المثلَيْن، بالاستجابة إلى ظاهرة المخالفة الصوتية، ومظاهر هذا الإبدال هي:

أ- إبدال (الراء ياءً): " كالقيراط في قرّاط"(١٥٧)

ب- إبدال (الصاد ياءً): " نحو: قّصَّيتُ في قَصَّصتُ"(١٥٨)

ت- إبدال (الضاد ياءً):" نحو: تَقَضِّي البازي أي تَقَضُّض"(١٥٩)

ث- إبدال (اللام ياءً): " نحو أَملَيْتُ في أَمْلَلْتُ"(١٦٠)

ج- إبدال (الميم ياءً): " نحو: ديماس في دِمَّاس"(١٦١)

ح- إبدال (النون ياءً): " نحو: دينار والأصل دِنَّار"(١٦٢)

٣- إبدال بين الياء وحروف العلة، وأورد الفيروز آبادي ما يأتي:

أ- إبدال (الياء ألفاً) " كحِمْلَاق في حِمْلِيق "[١٦٣]، لحدوث مخالفة صوتية بين الكسرة بعد الحاء، والياء (حِمْلِيق)، وهما من جنس واحد، أو الكسرة من الياء كما يقول الخليل، والكسرة بعضُ الياء كما يرى ابنُ جني. فيخالف بين الصوتين بقلب الياء ألفا.

ب- إبدال (الواو ياءً) كما في: " ميزان، والأصل مِوْزَان "[١٦٤].

ويسوغ حدوث هذا الإبدال، كون التنافر الصوتي قائماً بين الكسرة في الميم، والواو بعدها، فيتخلص من الواو بقلبها ياءً (مجانسة للكسرة).

ت- إبدال (الألِف في الوقف ياءً) (١٦٥)، قال الفيروز آبادي: " ياءُ الوقف، في نحو: حُبْلى وكِسْرى إذا وقفوا عليها جعلوا الألف المقصورة ياء "[١٦٦]، أي في الكتابة. وهو سلوك لهجي، كما قال الرضيُّ: " اعلم أن فزارة وناساً من قيس يقلبون كلَّ أَلِفٍ في الآخر ياءً، سواء كانت للتأنيث كـ (حُبْلَى) أولا كـ (مُثَنَّى) "[١٦٧]

والملاحظ أن الفيروز آبادي يستعمل – أحياناً – مصطلح (القلب) مرادفاً لمصطلح (الإبدال)، كما في قوله: " الكَبْت: الصَّرْف، والإذلال. كَبَتَ اللهُ العدو: صرفه وأذله، قال الفراء في قوله تعالى: (كُبِتُوا) [١٦٨]، أي: غيظوا وأُحْزِنوا يوم الخندق، وإنما قال ذلك، لأن أصل الكبت: الكبد، **فقُلِبت** الدال تاءً، أُخِذ ذلك من (الكبد) وهو موضع الغيظ والحقد، وكأن الغيظ لما بلغ منهم مبلغ المشقة أصاب أكبادهم فأحرقها"[١٦٩]، وغيرها من الأمثلة [١٧٠].

٧- ظاهرة الإدغام:

الإدغام هو إدخال حرف في حرف آخر[١٧١] بشرط أن يكون أوّلهما ساكنًا والثاني متحرّكًا. وكذلك: تحوّل حرف العلَّة إلى حرف مُدْغم بتأثير من الأحرف السَّاكنة المجاورة [١٧٢].

وتُعَدُّ ظاهرة الإدغام من الظواهر الصوتية البارزة في العربية، ولعلها أشهر تلك الظواهر، وقد تناولها العلماء بالدراسة ورصدوا مواضعها، ونجد إشارات واضحة إلى هذه الظاهرة في كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، كما أن لهذا الرجل جهداً غير قليل ظَهَر في كتاب سيبويه بصورة واضحة، وقد كانت عناية سيبويه بالإدغام كبيرة، إذ شغل مساحة لا بأس بها من الكتاب كونت الجزء الأخير منه، ولِمَا لهذه الظاهرة من أهمية فإنه ضَمَّ أهمَّ المباحث الصوتية المعروفة عند القدماء والمحدثين– أعني بها مبحثي مخارج الأصوات، وصفاتها، وصَوَّر هذان المبحثان تناسقاً منهجياً في فهم تحولات البنية اللغوية وتفاعل أصواتها مع بعضها أو مع الأصوات المجاورة من الكلمات الأخرى.

ووسع ابنُ جني هذه الظاهرة من خلال وضع طائفة الاصطلاحات التي تُقَسِّم الإدغامَ إلى: إدغام كبير وصغير، وإدغام المتقاربين والمتجانسين والمتماثلين، والإدغام في الكلمة وفي كلمتين، وغيرها.

وهو الجهد الذي نال عناية علماء التجويد والقراءات القرآنية، فوسعوا فيه ورصدوا مظاهره جميعاً في كلام الله، وفيما ورد من القراءات القرآنية.

ونجد عند الفيروز آبادي هذا الاهتمام بهذه الظاهرة، وإن لم تكن أمثلته كالكثرة التي كانت لظاهرة الإبدال.

إن الموضع الذي برز في كتاب البصائر هو ذلك الموضع الذي يَرِد في بدايات الأبواب التي خُصِّصت للكلام على الحرف الذي وُضِع له الباب؛ إذ يذكر الفيروز آبادي أنواع هذا الحرف وأحواله، ويذكر منها حالة الإدغام على نحو ما جاء في بداية (بصيرة في الجيم) (١٧٣)، إذ قال: " الجيم المدغمة في مثل حَجَّ وحجّة، **"إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا"** (١٧٤) ، ومثلها في بصيرة **الحاء**(١٧٥) **والخاء** (١٧٦) **والدال** (١٧٧) **والذال** (١٧٨)، التي قال فيها متحدثاً عن أنواعها: " الذال المدغمة مثل حذَّ، وقذَّ "(١٧٩).

وذكر **الزاي المدغمة**(١٨٠)، **والشين المدغمة**(١٨١)، **والصاد المدغمة**(١٨٢)، **والضاد المدغمة** (١٨٣)، **والطاء المدغمة** التي قال فيها: " الطَّاء المدغمة مثل خطّ وقطّ" (١٨٤)، وقال في **(الظَّاء المدغمة)**: " الظاء المدغمة، في مثل: كظَّ الطعام بطنه: إذا ملأه حتى لا يطيق النَّفَس. والكِظّة: شيء يعتري من الامتلاء"(١٨٥).

ومما ورد في كتاب البصائر لظاهرة الإدغام:

أ- إدغام الواو في التاء:

قال في (بصيرة في وقى): " وأصل التقوى: وَقْوَى، أُبدِلت الواو تاءً، كما أبدلت في تُرَاث وتُخَمَة وتُجاه. وكذلك اتَّقى يتَّقِي أصله اِوْتَقَى يَوْتَقِي، فقُلِبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها وأبدلت منها التاء وأُدْغِمت، فلما كثر استعمالُه على لفظ (الافتعال) توهموا أن التاء من نفس الكلمة فجعلوه اتَّقى يتَّقِي بفتح التاء فيهما، ثم

لم يجدوا له مثالا فقالوا: تَقَى يَتْقِي مثل قَضَى يَقْضِي، ويقول في الأمر: تَقِ، والمرأة تقِي، ومن ذلك قوله:

زيادَتَنا نُعمانُ لا تَقْطَعَنَّها * تَقِي اللهَ فينا والكتابَ الذي تَتْلُو**

بني الأمر على المُخفَّف **"ومَن عصى اللهَ لم تَقِهِ منه واقية"** (١٨٦)

فبعد أن يُوضح الفيروز آبادي السببَ الصوتي الذي برزت به كلمة (تقوى) على هذه الصورة، علل مجيء (اتَّقى يتَّقِي) بالعود إلى مبدأ **التناسب الصوتي**، فهو المسؤول عن قلب الواو ياءً من (اوْتقى) وقلب الياء تاءً بوجود تاء الأصل فجرى عندئذٍ إدغام هذه التاء مع التاء الحادثة، ثم جرى التعامل مع هذه التاء على أنها أصل من نفس الكلمة، فبنوا المضارع عليها بقولهم: اتَّقى يتَّقِي، وكان الإعلال الطريقَ الذي أدّى إلى إبدال الواو تاء من خلال إبدالها ياء للمناسبة مع الكسرة السابقة.

وكما نرى، فإن الفيروز آبادي يتبع طريقة النحويين والصرفيين في تقديم التعليل الذي يتناسب وعمليةَ الإبدال بين الأصوات، لكننا نرى أنه كان يمكنه أن يقول بإبدال الواو تاء ثم إدغامها في التاء الأصل من غير توسط انقلاب الواو إلى ياء، ويعضد هذا وجود أمثلة صرفية عدة للإبدال بين التاء والواو كما في: تُراث وتُجاه وتَتْرَى (١٨٧).

ب- إدغام التاء في الدال:

ومثاله عند الفيروز آبادي قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**"(١٨٨) (أي: المتدثر وهو المتلفِّف في الدِّثار، وهو ما كان من الثِّياب فوق الشّعار، يقال: (ادَّثَّر الرجل يَدَّثَّر ادِّثارا) أي: (تدثَّر يتدثَّر تدثُّرا)، فأدغمت التاء في الدال وشُددت أي: تلفَّف في الدِّثَار"(١٨٩).

وفي قوله تعالى: "**أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُردِفين**" [١٩٠]، نَقَل عن الخليل قولَه: " قال الخليل: سمعتُ رجلاً بمكة، يزعمون أنه من القُرَّاء، وهو يقرأ: "**مُرُدِّفِين**" [١٩١] بضم الميم والراء وكسر الدال المشددة، وعنه في هذا الوجه كسر الراء، فالأولى أصلها (مرتدفين)، لكن بعد الإدغام حُركت الراء بحركة الميم، وفي الثانية حُركت الراء الساكنة بالكسر، وعنه في هذا الوجه وعن غيره فتح الراء، كأن حركة التاء أُلقيت عليها. وعن الجحدري: بسكون الراء وتشديد الدال جمعا بين الساكنين "[١٩٢].

والملاحظ هنا أن الفيروز آبادي يهمل التعليل لهذا الإدغام، بل إنه اتجه إلى تعليل تحرك الراء في (مُرُدفِين) بالضم دون التوجه إلى تعليل الإدغام، لكنه يفيدنا فيما روي عن الجحدري من قبول التقاء الساكنين أو حدوثه في العربية عندما يكون الثاني منهما مدغما.

تلك مسألة تشير إلى قبول العربية المقطعَ الذي يبدأ بصحيحين متواليين، على شريطة أن يكون الثاني منهما مدغماً، وهذه الحالة أشبه ما تكون بما رآه علماء الأصوات المحدثون وعلماء الصرف القدماء من النطق بساكنين في نحو: قوله تعالى "**غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**"[١٩٣].

ومما أدغمت فيه التاء في الدال ما ورد في قوله تعالى: "**بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ**" [١٩٤]، " أي: تدارك، فأدغمت الدال في التاء [١٩٥] وتوصل إلى السكون بألف الوصل"[١٩٦].

ومثله قوله تعالى: "**وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا**" [١٩٧]، فقد قال: " هو تفاعلتم، فأُدغم التاء في الدال واجتلب ألف الوصل كما تقدم في ادَّارَكَ" [١٩٨].

وقد يُمْنَع الإدغامُ حتى لا يحركون ما أصله ألا يحرك فيلجؤون إلى الإبدال، ومنه إبدالهم التاء طاءً، وقد يتخذون طريقاً آخر غير الإبدال، وهو أن يدغموا التاء من (استطاع) في الطاء فيجمعون بين الساكنين كما حدث في (مُرْدِفين) إذ قرأ حمزة وهو من السبعة: "**فَمَا اسطاعوا أَن يَظهَروهُ وَمَا استَطاعوا لَهُ نَقبً**"[١٩٩]، فجمع بين الساكنين" [٢٠٠].

وقال في المُطَّوِّعَة: "والمُطَّوِّعَة الذين يتطوَّعون للجهاد، "**الَّذينَ يَلمِزونَ المُطَّوِّعينَ**" [٢٠١]، أي: المتطوعين فأُدغم "[٢٠٢].

ت- إدغام التاء في الظاء:

تُدغم التاء في الظاء كما في "يَظَّاهرون" على بعض القراءات يقول: "والظِّاهر أن يقول الرجل لامرأته: أنتِ عليَّ كظَهْر أمي، قال تعالى: "**الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم**" [٢٠٣] ، وقُرِئ (يَظَّاهرون) أي: يتظاهرون، فأدغم و (يَظَّهَّرون)" [٢٠٤].

من الواضح أن العامل الصرفي الكامن في كون الصيغ تدل على (الافتعال) هو الذي سمح بمثل هذا التطور الصوتي الذي تم بإدغام التاء في الظاء، أو قبول تتابع الساكنين المذكور آنفا.

وقوله (يَظَّهَّرون) يعني أنهم بعد أن أدغموا التاء في الظاء حذفوا الألف، ويتجاوز التطورُ الصوتي في هذه الصيغة حذف التاء أو إدغامها إلى أن يجمعوا معها تطوراً صوتياً آخر، إذ يرى أنهم قرؤوا بتشديد الهاء مع تشديد الظاء، ويعني ذلك أنهم أدغموا الألف في الهاء، وهو يتم – في العادة – بإبدال الألف هاءً ثم إدغامها.

ويعد إبدال الألف هاءً من جملة مواضع الإبدال عند الفيروز آبادي، لكن ما ورد من الأمثلة يرتبط بآخر الكلمة لكونها آخر الكلام، وهو شيء قد يعلل من جهة غير مخرجية؛ إذ تخضع ظاهرة الوقف لعوامل عدة، من جملتها: العادات النطقية، والقدرة الإسماعية لبعض الأصوات، والتشكيلات القطعية للسلسلة الكلامية، ولعل الأرجح أن يعلل ذلك بإسقاط حرف الألف ثم التعويض المقطعي عنه بصوت الهاء الساكن مجانسة للهاء الأولى.

ث- إدغام المتماثلين:

وقف الفيروز آبادي على هذا النوع من الإدغام في المواضع التي تبرز فيها خصوصية لهذا الإدغام، بكونه لفظةً ما وردت بالإدغام في موضع من القرآن الكريم، ووردت في مواضع أخرى بفك الإدغام أو العكس، وقد ربط في بعض تلك المواضع بين حدوث الإدغام، وعدم حدوثه، ودلالة التعبير القرآني، فقد وقف على قوله تعالى: "**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ**" [٢٠٥]، وقوله تعالى: "**وَمَن يُشاقِقِ اللَّـهَ وَرَسولَهُ**" [٢٠٦]، بالإظهار، أي إظهار القافين محركتين، في حين ورد في سورة الحشر بالإدغام، قال تعالى: "**وَمَن يُشَاقِّ اللَّـهَ فَإِنَّ اللَّـهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**"[٢٠٧].

وعلَّل الفيروز آبادي هذا بقوله: " لأن الثاني من المثلين إذا تحرّك بحركة لازمة وجب إدغام الأول في الثاني، ألا ترى أنك تقول ارْدُدْ بالإظهار، ولا يجوز ارْدُدَا وارْدُدُوا، وارْدُدِي، لأنها تحركت بحركة لازمة، والألف واللام في (الله) لازمتان، فصارت حركة القاف لازمة، وليس الألف واللام في (الرسول) كذلك، وأما في الأنفال فلانضمام (الرسول) إليه في العطف لم يدغم، لأن التقدير في القاف أن قد اتَّصل بهما، فإن الواو يوجب ذلك "[٢٠٨].

ويتبين من كلامه في آخر النص محاولة أن يفهم الإظهار في: "**وَمَن يُشاقِقِ اللَّـهَ وَرَسولَهُ**" من خلال السياق اللغوي، إذ يرى أن العطف الحاصل بين الاسم الذي بعد الفعل (أعني لفظ الجلالة) مع الاسم الثاني، وهو (الرسول)، يوجب كون الكلام في الأصل (ومن يشاقق الله، ومن يشاقق الرسول) فامتنع الإدغام بسبب هذا، وأن القاف في التقدير بمنزلتها في الآية من سورة النساء "**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ**".

٨-ظاهرة الإعلال:

قال رضيّ الدين الاسترآبادي: " اعلَم أن لفظ الإعلال في اصطلاحهم مختص بتغيير حرف العلة: أي **الألف، والواو، والياء**، بالقلب أو الحذف أو الإسكان، ولا يقال لتغير الهمزة بأحد الثلاثة إعلال " [٢٠٩].

على أن المعنى اللغوي يشير إلى دلالة التغير مطلقاً، وترتبط هذه الظاهرة بالنظام المقطعي الخاص بالعربية، " إن المقطع ما هو إلا هرم صوتي، وقمة هذا الهرم الصوتي تكون حركة دائماً وأبداً في العربية، في حين تشكل الصوامت القاعدة، والقاعدة مرتبطة بالقمة ومشدودة إليها، لأن قمة المقطع مركز الثقل فيه، فهو العنصر الأقوى والعنصر الأكثر تأثيراً في السَّمْع"[٢١٠]، و" تتفاعل فيه المقطعية مع ظاهرة المماثلة في التخلص من التتابع الصوتي غير المرغوب، ويعني هذا التتابع في كتب المحدثين وجود صوت المدِّ المركب "[٢١١]، وصوت المد المركب هو: أحد صوتي (الواو، الياء) نصف المد، تسبقه حركة وتتبعها حركة.

وقد استأثر الإعلال بالقلب على ما قدمه الفيروز آبادي في كتابه البصائر من هذه الظاهرة، والإعلال بالقلب يعني: أن يتم التخلص من هذا التتابع بواسطة قلب **الواو** أو **الياء** بما يجانس الحركة السابقة، تنقلب **ألفاً** إذا كان ما قبلها فتحة، وتُقلب **واواً** إذا كان قبلها ضمة، أو **ياءً** إذا كان قبلها كسرة.

ففي (**الصَّيِّب**) في قوله تعالى: " **أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ**"[٢١٢]، وهو السحاب المختص بالصَّوْب، وهو فَيْعِل من (صاب – يصوب) "وأصله (صَيْوِب) فأبدل وأدغم"[٢١٣]. ويعني ذلك أن الواو أُبدلت ياءً مجانسة للياء السابقة الساكنة فأدغمت معها. وجاء في البصائر: " قال ابن دريد: أصله (صَوِيب)، على فَعِيل"[٢١٤]. وفيه تأثير رجعي للياء والكسرة على الواو السابقة.

ومثل ذلك ما ورد في: (السَّيِّئة) إذ قال الفيروز آبادي: "والسَّيِّئَة: الفعلة القبيحة، وهي ضد الحسنة وأصلها (سَيْوِئَة) فقلبت الواو ياءً ثم أدغمت فقيل: سيئة"[٢١٥].

ويقول في الطاغوت: "وقيل أصله (طَغَوْوت) لكن قلب لام الفعل، نحو (صاعقة) و(صاقعة) ثم قلب الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها"[٢١٦].

وقال في بصيرة (ورث): "وَرِثتُ أبي، ووَرِثْتُ المال من أبي، أرِثه بالكسر فيهما، وِرْثا ووِرَاثَة وإِرْثًا، الألف منقلبة عن الواو و(رثَةً) كـ (عِدَة) الهاء عوض عن الواو، وإنما سقطت الواو من المستقبل لوقوعها بين ياء وكسرة وهما متجانسان، والواو مضادَّتُهما، فحذفت لاكتنافهما إياها، ثم جعل حُكمهما مع الألف والياء والنون كذلك لأنهنّ مبدلات منها والياء هي الأصل"[٢١٧]. وسوغ الفيروز آبادي سقوط الواو في (يَرِث) التي أصلها (يَوْرِث) بأنَّ هذه الواو وقعت بين متجانسين هما (الياء والكسرة) فيتخلص منها بسبب مضادتها لهما، فيكون عامل الميل إلى السهولة في النطق سبباً في التخلص منها بالحذف، ثم جرى هذا الحكم في الصيغ التي لا تظهر فيها الياء نحو: نَرِث وأَرِث وتَرِث إطِّراداً لصياغة الفعل المضارع.

ويبين الفيروز آبادي رجاحة ذلك بوساطة ذكر مثالين لعدم سقوط الواو أو الياء لانعدام التنافر، كما حصل في (يَوْجَل) و(يُوْرَث). وقد عرف هذا النوع من الإعلال المتقدم بـ (الإعلال بالحذف)، ويكون الحذف بسبب آخر غير صوتي، فكثرة الاستعمال أدت إلى سقوط الواو من (أب) " وأصله (أبو)، فلما كثر استعماله حذفوا الواو على قياس يدٍ ودمٍ "[٢١٨].

وهناك نوعان من الإعلال وقف عليهما الفيروز آبادي في بصائره هما:

١- **إعلال سياقي:** مثاله قوله: " الواو المُبْدَلة من الهمزة، إذا كان ما قبلها مضموماً نحو: رأيتُ وَبَاك"[٢١٩].

٢- **إعلال اشتقاقي:** (صرفي)، مثاله قوله: "إبدال الواو من الألف نحو: ضَوَارِب"[٢٢٠].

يقوم هذا التقسيم على ملاحظة أن سبب الإعلال إما أن يكون موجوداً في أثناء النطق أوْ لا يكون.

ففي الإعلال السياقي الذي نعني به الإعلال في السياق الصوتي في أثناء النطق، حيث جرى التخلص من همزة (أباك) وإبدالها (واوا) مجانساً للضَّمَّة التي في تاء الفاعل، وفي الحقيقة أنه جرى إشباع الضمة فصارت واواً، إذ يرى الدَّرْس الصوتي الحديث أنه لا وجود لضمة بعدها واو كما يذهب العلماء القدامى، وكأنه جرتْ معاملة همزة القطع هنا على أنها همزة وصل تسقط عند الدرج.

٩-ظاهرة الهمز:

الملاحظ أن صوت الهمزة يسلك في العربية سلوك صوت معلول، إذ إن السمة الواضحة للكلمات التي تشتمل على الهمز أنها تتغير، فمرة تفقده، وأخرى تُبْقيه، ويظهر من بعض الأمثلة أن الواو المضمومة تتحول إلى صوت الهمزة.

وفي ضوء علم اللغة الحديث [٢٢١] يمكننا أن نفهم من ذلك أنه جرى التخلص من توالي الأمثال باستبدال أحدهما بصوت الهمزة الذي يبدو منحازاً عن الأصوات، لكونه أقرب إلى أن يمثل نبراً توترياً، تم التعامل معه بوصفه صوتاً صحيحاً على المستوى الصوتي، وبوصفه حرفاً معلوماً على المستوى الصرفي والاشتقاقي.

كما يلاحظ أيضاً أن الهمزة بتبادلها مع الأصوات التي هي من جنس حركتها تحيلنا على ما يأتي:

١- الهمزة تمتلك الوظيفة المقطعية نفسها التي تؤديها حروف المد، إذ لا وجود للخلل في السلسلة المنطوقة عند الإبدال.

٢- إن الهمزة وما تُبَدَّل إليه (أي: **الألف** أو **الواو** أو **الياء**) تمتلك الوظيفة الفونيمية نفسها، إذ إن همز الكلمة لا يخرجها عن دلالتها الأولى إلى دلالة ثانية، والعكس هو الصحيح عند التسهيل أو الإمالة أو الإبدال.

لقد جَلبت هذه الظاهرة اهتمام الفيروز آبادي فوقف – في بصائره – عند طائفة من الألفاظ التي تُهْمز عند قوم، وتخفف عند آخرين، سواء أكانت هذه الألفاظ في كلامهم أم كانت مما قرأ به القُرَّاء.

ومعلوم لدى الباحثين – قديماً وحديثاً – أن الهمزة ظاهرة تُنْسب إلى قبيلة تميم، على حين يقابلها التخفيف عند الحجازيين، ولكنَّ الملاحظ أن الفيروز آبادي نقل عن أهل مكة خاصة – وهم حجازيون – هَمْزَهُم بعض الألفاظ التي لا يهمزها غيرهم، فقد جاء في بصيرة (نبأ): "غير أنهم تركوا الهمزة في النَّبِيّ، والبَرِّية والذُّرِّية، والخابية، إلا أهل مكة حرسها الله، فإنهم يهمزون هذه الأحرف ولا يهمزون غيرها، ويخالفون العرب في ذلك "[٢٢٢].

وهمز أبوطالب بن عبد المطلب (منسأة) التي لم يهمزها غيره، " والمِنسأة: العصا، يهمز ولا يهمز، قال أبوطالب بن عبد المطلب يخاطب خِدَاش بن عبد الله بن أبي قَيْس في قتله عَمْرو بن عَلْقَمَه:

أَمِن أَجْلِ حَبْلٍ لا أباكَ ضَرَبْتَهُ * بِمِنْسَأَةٍ قد جَرَّ حبْلُكَ أَحْبُلا**

وقال آخر في ترك الهمز:

إذا دَبَبْتَ على المِنْسَاةِ من هَرَم * فقد تباعد عنك اللَّهْوُ والغَزَلُ** " (٢٢٣)

ومن المعروف في الدراسات الصوتية الحديثة أن الصوت الذي يسلك مع طائفة من الأصوات التي يتبادل معها من غير أن يكون لهذا الإبدال أثر في تباين المعاني، وقد سُمِّى هذا عند المحدثين بـ (الآركيفونيم) أو (الفونيم الرئيس).

وعلى ما يبدو فإن صوت (الهمزة) يمثل هذا الفونيم الرئيس مع أصوات: **(الياء والألف والواو)**، إذ إن المسلك اللهجي ما بين الهمز والتخفيف أدى إلى ضياع النطق الدلالي ما بين هذه الأصوات، فقد قال الفيروز آبادي في (بصيرة في الدأب والدور والدول): " والدَّار مؤنثة، وأدنى العدد (أدؤر)، والهمزة مبدلة من واو مضمومة، ولك أنْ تقول: أدْوُر بالواو، وجمع الكثير (ديار) و (دُور) كجبال وأُسْد "(٢٢٤).

وفي (بصيرة في شنا وشهب) نقل عن أبي عبيدة قوله: " الشَّنان بغير همز مثل الشَّنَآن، وأنشد للأحوص:

هل العيشُ إلاَّ ما تَلَذُّ وتشتهي * وإنْ لامَ فيه ذو الشَنَان وفَنَّدَا"** (٢٢٥)

"وقد أجمعت العرب على همز (المصائب) وأصلها الواو كأنهم شبهوا الأصل بالزائد، ويجمع أيضا على (مصاوِب) على الأصل، قال تعالى: "**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**"[٢٢٦].

وجاء في بصيرة (كيس): "والكأس بالهمز وتركه: الإناء الذي يشرب فيه، قال الله تعالى: "**يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ**" [٢٢٧]، ومثله في الرؤيا فيقال بالواو [٢٢٨].

وعلى أية حال، فإن هذا المسلك لصوت الهمز مع حروف العلة لم يكن مُطَّرِداً دائماً، بل نجد عند الفيروز آبادي بعض الإشارات إلى أن الهمز وتركه يؤدي إلى اختلاف في دلالة اللفظة، ففي (نبأ) يذكر الفيروز آبادي إنكار النبي – صلى الله عليه وسلم – على بعض الأعراب أن يقول له: يا نَبِيءَ اللهِ، إذ أدرك أنه عنى (نبأ) التي هي الخروج من أرض إلى أخرى، وفي هذا السياق قال الفيروز آبادي: "ونَبَأْت على القوم نَبْأ ونُبُوءًا: إذا طلعتَ عليهم، ونبأت من أرضٍ إلى أرض: إذا خرجت منها إلى أخرى، وهذا المعنى أراد الاعرابيُّ بقوله يا نبيءَ الله، أي يا مَنْ خرج من مكة إلى المدينة، فأنكر عليه الهمز وقال: (إنا معشرَ قريشٍ لا نَنْبِر)، ويُرْوَى: " لا تَنْبِر باسمي، فإنما أنا نبيُّ الله ولستُ بنَبِيء الله"[٢٢٩]. إذ أراد المعنى الأخر المأخوذ من نبأ إذ: " النبأ محركة: الخَبَر، ونَبَّأ وأَنْبَأ: أخبر، ومنه اشتق (النبيّ) قال تعالى: "**نَبِّئ عِبادي أَنّي أَنَا الغَفورُ الرَّحيمُ**"[٢٣٠]، وعلى هذا هو (فَعِيل) بمعنى (فاعل)، وقال تعالى: "**نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ**"[٢٣١]، وعلى هذا فهو (فعيل) بمعنى (مفعول) غير أنهم تركوا الهمزة في النبيّ"[٢٣٢]. ولولا هذا التباين بين الهمز وعدم الهمز ما ساغ هذا الإنكار في حالة تكلم الرجل بلهجته التي أملتها عليه بيئتُه وجُبِلت عليها فطرته.

لقد انعكس التباين اللهجي في استعمال الهمز وعدم استعماله على لغة القرآن الكريم، وأشار اللغويون إلى هذه الظاهرة فيما ورد من القراءات القرآنية، وعلى ما يبدو فإنها خرجت من دائرة الانتساب إلى قبيلة بعينها، بمعنى أننا نجد من القُرَّاء مَن مال إلى الهمز، وهو ليس مِن الحجازيين، ومنهم مَن مال إلى التسهيل وليس هو مِن التميميين. وعلى ما يظهر فإنه دخل في هذه المسألة أثر المُعَلِّم أو المُلَقِّن للقراءة، وبذلك يكون هذا سبباً مباشراً في بروز هذه الظاهرة بوصفها ظاهرة صوتية تبرز نزوعاً إلى النطق بهذا الصوت المميز (الهمزة) أو التخلص منه.

وعلى هذا اهتم الفيروز آبادي بإيراد طائفة من القراءات التي تتعلق بهذا الموضوع، بوصفها طرفاً من أطراف الثقافة في جانبها اللغوي المتصل بكونها من جملة التبصر بكتاب الله المجيد. ومما أورده الفيروز آبادي في هذا المجال أن (عاصماً) قرأ: "**يُضاهِئونَ قَولَ الَّذينَ كَفَروا مِن قَبلُ**" [٢٣٣] بالهمز في حين قرأ الباقون بغير همز " والمضاهاة: المشاكلة، تقول: ضَاهَيْت وضاهأت يُهمَز ولا يهمز "[٢٣٤].

ومنه أيضا ما جاء في بصيرة (وَصَدَ) إذ قال: " وأَوْصَد البابَ وآصده: أطبقه وأغلقه، ومنه قوله تعالى: "**إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ**" [٢٣٥] أي: مُطْبَقة، همزها أبو عمروٍ وحمزةُ وخَلَف وحَفْص، واختلف على يعقوب، والباقون بغير همزة"[٢٣٦].

وذكر في حكاية قول الكافرين " قوله تعالى: "**إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**"[٢٣٧] أي: بمحمَّد وأصحابه، قرأ أبو جعفر[٢٣٨]: مُستَهْزون ويَسْتَهْزُون، وقل استَهْزوا بترك الهمزة فيهنّ"[٢٣٩]، وكذلك خفف أبو جعفر[٢٤٠] في قوله تعالى: "**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**"[٢٤١].

ويقول في (هيأ): "وقرأ عليٌّ بنُ أبي طالب وابنُ عباس رضي الله عنهم وشفيق بن سلمة والسلمي ومجاهد وعكرمة وابنُ وثَّاب وقتادة وطلحة بن مصرِّف وابن أبي إسحاق في قوله تعالى: **"وَقالَت هِئْتُ لَكَ"** (٢٤٢) بكسر الهاء، وبالهمز أي تهيأتُ لك"(٢٤٣).

وجاء في بصيرة (روى) قوله: " والرَّوَي والرِّيّ والرَّيّ: ضد العَطَش، رَوِى من الماء واللبن يَرْوَى) كـ (رَضِيَ – يَرْضَي) رِيّا ورَيّا. ورَوَى وتَرَوَّي وارتْوَىَ بمعنى، والاسم: الرِّيّ، قال تعالى: **"هُم أَحسَنُ أَثاثًا وَرِيًا** " (٢٤٤) فمن لم يهمز جعله من رَوِيَ، وكأنه رَيَّان من الحسن، ومن هَمَز فللذي يُرْمَق من حسنه" (٢٤٥).

١٠- ظاهرة الإشباع:

ويعني به المَدّ الزائد في حركة من الحركات، تتحول إلى حرف المد المجانِس، وتكاد تقتصر نصوص الإشباع في البصائر على القراءات، نحو قوله في بصيرة (مَلِك): "وقُرِئ: (مَلِكِي) بإشباع كسرة الكاف وروي عن نافع"(٢٤٦) وقد عُدَّ ذلك شاذاً، وخصه بعضُهم بالشعر "وقال المهدوي: لغة"(٢٤٧).

وكون اختصاصه بالشعر فيه لمحة إلى أن الحاجة إلى التنغيم الموسيقي للشعر هو الباعث على مثل هذا النحو، ومن ثَمَّ فإن ظهوره في القراءات كان تمثلاً لنزعة تنغيمية اقتضتها قراءة الآية رآها القارئ، وقرأ كلٌ من الحسن وأبي حيوة **"وَتَنْحَتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ "**(٢٤٨)، بفتح الحاء. (وزاد الحسن: تّنْحَاتُون، بإشباع الفتحة) (٢٤٩)، فكأنه أراد مزيداً من بيان الفتح في الحاء احترازاً من الصيغة المعروفة (تنحِتون).

ومن الإشباع ما ذُكِر من بيان أنواع الواو، إذ ذكر واو الإشباع كـ (البُرْقُوع)(٢٥٠).

واو الإشباع هي الزائدة للضرورة، كما في:

وإنني حيث ما يُثنِي الهوى بصري* من حيثُ ما سلكوا أدنو فأنظور**

أي فأنظر، أشبع الضمة لإقامة الوزن.

ويلاحظ أن هذه الظاهرة ترتبط بالانسجام الصوتي الموجود ما بين الحركات وحروف المد.

وكان سيبويه قد أشار إلى رأي الخليل في أن (الفتحة من الألف) و(الكسرة من الياء) و(الضمة من الواو) [٢٥١]، وتبعه ابن جِنّي، فقال: "إن الضمة بعض الواو، والفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء" [٢٥٢].

١١- ظاهرة الإمالة والتفخيم:

الإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء [٢٥٣]. والتفخيم هو ارتفاع مؤخر اللسان إلى أعلى قليلاً في اتجاه الطبق اللين وتحركه إلى الخلف قليلاً في اتجاه الحائط الخلفي للحلق. ولذلك يسميه بعضهم "الإطباق" بالنظر إلى الحركة العليا للسان، ويسميه بعضهم "التحليق" بالنظر إلى الحركة الخلفية للسان[٢٥٤].

لقد تم ربط الإمالة بوضع في نطق الألف يكون بالاتجاه السلبي، إذ يُنْطق بها قريبة من الياء، في حين ربط التفخيم بالاتجاه الإيجابي إذ يُنطق بها قريبة من الواو، ولعل دلالتي (الإمالة والتفخيم) اللغويتين تشير إلى هذا الموقف من هاتين الظاهرتين.

ومما ورد في هذا المجال، أن أبا عمرو الذي هو في مقدمة اللغويين الذين أرسوا قواعد كلام العرب ووضحوا اصطلاحاته، فضلاً على كونه أول القُراء السبعة، قرأ الآية: "**وَمَن كانَ في_هذِهِ أَعمى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعمى وَأَضَلُّ**

سَبيلًا"[٢٥٥] بالإمالة في (**أَعمى**) الأولى، وبعدم الإمالة في الثانية، بالاعتماد على دلالة كل من اللفظتين.

ذَكَر ذلك الفيروز آبادي إذ قال في بصيرة: (عمه، عمي) بعد الآية المباركة: " فالأول اسم فاعل، والثاني قيل: هو مثله، وقيل: هو (أفعل من كذا) الذي للتفضيل، لأن ذلك من فِقدان البصيرة، ومنهم من حَمَل الأول على: عمى البصيرة، والثاني على عمى البصر، وإلى هذا ذهب أبو عمرو، فأمالَ الأول لمَّا كان من عمى القلب، وترك الإمالة في الثاني لمَّا كان اسماً، فالاسم أبعد من الإمالة. وقوله تعالى: "**وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى**" [٢٥٦]، "**قَومًا عَمينَ** " [٢٥٧]، "وَنَحشُرُهُ **يَومَ القِيامَةِ أَعمى**" [٢٥٨]، "وَنَحشُرُهُم **يَومَ القِيامَةِ عَلى وُجوهِهِم عُميًا وَبُكمًا وَصُمًّا**"[٢٥٩] محتمل لِعَمَى البصر والبصيرة جميعا"[٢٦٠]. وعلى ما يبدو أنه لم يُمَل بالآيات الأخرى لاحتمال المعنيين.

على أن هذا الأمر لا يطَّرِد في هذه الظاهرة، فهناك بعض القُّراء أمال (مَالِك)، ورُوِي ذلك عن يحيى بن يَعْمَر:" وقرئ: مالِك، بالإمالة والتفخيم، ونقل عن الكسائي"[٢٦١].

إن **الإمالة** تُعَدّ ظاهرة لهجية إذ تنحو قبائل تميم إلى الإمالة وفي مقابلها الحجاز. وكذا الحال مع **التفخيم** فهو ظاهرة لهجية تتميز بها لغة أهل الحجاز، وتم ربط بعض مظاهرها بالمعنى عبر ما ورد من التفخيم الخاص بلفظ الجلالة[٢٦٢].

إن الملاحظ هنا: أن الفيروز آبادي لم يحاول أن ينسب ظاهرة ما إلى قبيلة بعينها، بل تناول هذه الظواهر بوصفها مما يعتري المفردات والتراكيب العربية مرتبطة بالنص القرآني.

النتائج:

١- كشف البحثُ النقاب عن الأفكارَ الصوتية التي تبنّاها الفيروز آبادي في كتابه (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز)، وقدَّمها في إطار منهجي، يجري مع مباحث الصوت في الدرس الصوتي الحديث.

٢- الصوت اللغوي وظواهره في كتاب "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز"، لا يُكوِّن مبحثاً مستقلاً كما هو الحال في كتب اللغة، لاسيما كتب الصرف عند المتأخرين التي ينزع مؤلفوها في القِسم الأخير من مؤلفاتهم إلى تناول ظواهر "صوتية" أو ظواهر "صرفية – صوتية" مثل: الإعلال والإبدال والإدغام، وغير ذلك، وهو أمر يدعونا إلى عدم محاولة عرضها بصورة اعتدناها في الدراسات الصوتية، حيث يوزَّع موضوع إنتاج الأصوات وفق جدول توزيعي بحسب المخارج أولاً، ثم الصفات ثانياً، ثم عرضها في مخطط للجهاز الصوتي، مع مقارنة ذلك بالجهود السابقة لتلك الدراسات وتعضيدها بما قدمه المحدثون في هذا المجال.

٣- تمثلت المباحث الصوتية عند الفيروز آبادي في جانبين، هما: مخارج الأصوات، وبعض الظواهر الصوتية.

٤- دأب على أن يبدأ كلامه على الحرف بكونه أحد حروف التهجي أو المتهجَّى بها، كما أن ذلك يحيل على اعتبار للأصوات التي تتألف منها العربية، مهمِلاً بذلك الأصوات الفرعية فيها، سواء المستحسنة في قراءة القرآن، أو غير المستحسنة التي نبه عليها سيبويه، وتبعه مَن جاء بعده.

٥- مواضع ذِكْر المخارج الخاصة بالحروف تقتصر على بدايات أبواب الكتاب التي رُتِّبتْ وفقَ الترتيب الهجائي للحرف، إلا شيئاً يسيراً وجدته في أثناء هذه الأبواب.

٦- لم يتناول الفيروز آبادي مخارج جميع الحروف والأصوات وصفاتها، فقد أهمل ذِكر مخارج طائفة من الحروف، وهي: (**الراء** و**السين** و**العين** و**الفاء**)، ولم يُبَيِّن السبب في هذا الإهمال، ويحتمل – مع ذلك – أن يكون من سقط النُّساخ.

٧- المعلومات الصوتية التي يقدمها الفيروز آبادي اقتصرت على نسبة الحرف أو مخرجه أو ما قرب منه.

٨- تناول الفيروز آبادي بعض الظواهر الصوتية، مثل: الإبدال والإدغام والإعلال والهمز:

أ- ففي الإبدال عَرَض لجميع التحولات التي يذكرها العلماء عند كلامهم على هذه الظاهرة.

ب- اقتصر في الإدغام على بعض مظاهره، ومنها إدغام الواو في التاء، وإدغام التاء في الدال والطاء، وإدغام المتماثلين.

ت- أما الإعلال فقد تمثل عنده بـ (الإعلال بالقلب)، ولم يعرض للإعلال بالحذف والإسكان، والإعلال عنده قد يكون سياقياً أو اشتقاقياً.

ث- وقف الفيروز آبادي في الهمز عند طائفة من الألفاظ التي تُهْمَز عند قوم وتُخَفَّف عند آخرين، وتَعَرَّض لبعض ما زاده القراء.

٩- عرض الفيروز آبادي لظواهر الإشباع والإمالة والتفخيم، مقتصراً فيها على ما ورد عند القُّراء.

١٠- لم يحاول الفيروز آبادي أن ينسب ظاهرة ما إلى قبيلة بعينها، بل تناول الظواهر الصوتية بوصفها مما يعتري المفردات والتراكيب العربية مرتبطة بالنص القرآني.

الهوامش

(١) لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين، محمد بن مكرم الأنصاري، طبعة بولاق، د. ت، مادة صوت.

(٢) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، دائرة الشؤون الثقافية العامة، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٦/٧

(٣) أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، الشيخ الرئيس، أبو عليّ بن الحسين بن عبد الله، القاهرة، ١٣٥٢ هـ، ص ٧

(٤) هناك ثلاثة أنواع تمثل ميكانيكية تيار الهواء تستعمل في الكلام البشري، وكل نوع له نقطة بداية مختلفة. وهذه الأنواع هي:

- ميكانيكية تيار الهواء الرئوية
- ميكانيكية تيار الهواء المزمارية
- ميكانيكية تيار الهواء الطبقية

وكل منها يمكن أن يستعمل لدفع الهواء خارجياً أو داخلياً فيكون المجموع ستة أشكال أهمها الميكانيكية الرئوية لتيار الهواء وهي الوسيلة العادية للكلام والغناء. راجع

- Preliminaries of Linguistic Phonetics: Ladefoged, Peter, U. S. A. 1971. p 54

وكذلك:

- Elements of General Phonetics: Abercrombie, D., G. B., 1967. P25

(5) Phonetics: Malmberg, Bertil, New York, 1963. P 22

وكذلك:

- Introduction to Phonetics: Brosnahan, L. F., and Malmberg, B., Cambridge, 1970. P 110

(٦) سر صناعة الإعراب، ابن جني، تحقيق مصطفي السقا ورفاقه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٤ م، ٦/١

(٧) علم الأصوات العام(أصوات اللغة العربية)، بسّام بركة، مركز الإنماء القومي – لبنان، ٥٩

(٨) الكلام إنتاجه وتحليله، د/ عبد الرحمن أيوب، جامعة الكويت، مطبعة ذات السلاسل، الكويت، ط١، ١٩٨٤م، ٢٧ وما بعدها

(٩) المصدر السابق، وكذلك: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، د/ نايف خرما، عالم المعرفة رقم(٩)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، مطبعة اليقظة، ١٩٧٨م، ٢٣ وما بعدها، وكذلك: اللغة والفكر، د/ نوري جعفر، نشر وتوزيع، مكتبة التومي، الرباط، ١٩٧١م، ٣٩

(١٠) سورة الحجرات ٢

(١١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين الفيروز آبادي، الأجزاء الخمسة الأولى بتحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، ١٩٦٤م، والجزء السادس بتحقيق: عبد العليم الطحاوي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة، ١٩٧٣م، ٣ / ٤٥٠

(١٢) البصائر ٢/ ٦

(١٣) الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه، طبعة مصورة عن مطبعة بولاق، المطبعة الأميرية الكبرى – القاهرة، ط١، ١٣١٧ هـ، ٢ / ٢٨٥

(١٤) البصائر ٢ / ٦

(١٥) ونعني بها علم الأصوات الوظيفي وكونه خاصاً بلغة بعينها، يحيل على أن الألِف والهمزة يمتلكان وظيفة واحدة، ولهذا يمكن أن يعد من هذه الناحية تنوعاً فونيمياً(ألفون) لا فونيمين مستقلين، وقد لاحظ الدرس الحديث ذلك واصطلح على هذه الظاهرة بما يسمى : الفونيم الرئيس والتحييد، إذ الفونيم الرئيس يعبر به عن أسرة من الفونيمات أُبْطِل التمييز بينها في مواقع معينة فتداخلت وصارت فونيماً واحدا، ومثال ذلك فضلاً عن(الهمزة والألف والواو والياء) إبطال التمييز بين (الطاء والتاء) في صيغة الافتعال، و(التاء والهاء) في نحو : قادمة، أما "التحييد" فهو المصطلح الذي يطلق على هذه العملية، دراسة الصوت اللغوي، د/ أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩١ م، ص ٢١٧، أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة: د/ أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، كلية التربية، ١٩٧٣م، ٨٩ هامش(١)، وكذلك: مدرسة براغ اللغوية، د/ أحمد

مختار عمر، مجلة كلية الآداب والتربية، الكويت، العدد الحادي عشر، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م، ٢٨ / ٢٩

(١٦) البصائر ٢ / ٦

(١٧) السابق ٢ / ١٩٠

(١٨) السابق ٢ / ٢٨٣

(١٩) العين ١ / ٥٨

(٢٠) الكتاب ٢ / ٤٠٥

(٢١) البصائر ٢ / ٣٣٢

(٢٢) علم الأصوات العام ١٢١

(٢٣) البصائر ٢ / ٣٥٠

(٢٤) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الفكر– بيروت، ١٩٨٣م.

(٢٥) دراسة الصوت اللغوي ٣١٧

(٢٦) البصائر ٢ / ٤١٧

(٢٧) العين ١ / ٥٧

(٢٨) البصائر ٢ / ٥١٩

(٢٩) الكتاب ٢ / ٤٠٥

(٣٠) البصائر ٢ / ٥٨٣

(٣١) السابق ٣ / ٣

(٣٢) العين ١ / ٥٨

(٣٣) الكتاب ٢ / ٤٠٥

(٣٤) دراسة الصوت اللغوي ٣١٥

(٣٥) البصائر ٣ / ٢٨ – ٢٩

(٣٦) العين ١ / ٥٨، الذلاقة والإصمات، تقسيم تفرد به العلماء العرب، ولا يعرفه المحدثون، والذلاقة في الأصوات اسمٌ يندرج تحته نوعان من الأصوات، هما: شفوي، ومخرجه

الشفه، وهو لأصوات (الفاء والميم والباء)، والآخر: ذلقي،(وذلق اللسان: طرفه المستدق)، ويشمل أصوات(الراء والنون واللام) (جمهرة اللغة، ابن دريد، حيدر آباد، الهند، ١٣٤٥ هـ، ٧/١)، وقد سمى النوعان بالأصوات الذلقية أو الذولقية

(٣٧) الكتاب ٢ / ٤٠٥

(٣٨) البصائر ٣ / ١٢٠

(٣٩) ذكر المحقق في الهامش من الصفحة السابقة أن المعروف كون الزاي ليست من الحروف الأسلية، وهو مردود بقول الخليل المذكور آنفا

(٤٠) القاموس المحيط / أسل

(٤١) العين ١ / ٥٨

(٤٢) البصائر ٣ – ٣

(٤٣) البصائر ٣ / ١٢٠، إن من أقسام الزاي ما يسميها(زاي العجز والضرورة) ويعني بها: العجز عن النطق بها زاياً فيقلبونها ذالاً، وقد يحدث العكس.

(٤٤) التطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه، د/ رمضان عبدالتَّوَّاب، مكتبة الخانجي بالقاهرة – مصر، ط ٣، ١٩٩٧م.ص ٨٣، وفي ص ٨٥ "كما تحولت الذال إلى زاي في الحبشية والعبرية والأكادية"

(٤٥) الكتاب ٢ / ٤٠٥

(٤٦) السابق ٢ / ٤٢٠

(٤٧) المصدر السابق ٢ / ٤٠٧ و ٤١٨

(٤٨) البصائر ٣ / ٢٩١

(٤٩) العين ١ / ٥٨

(٥٠) الكتاب ٢ / ٤٠٥

(٥١) البصائر ٣ / ٣٦٧

(٥٢) السابق ٣ / ٤٥٨

(٥٣) السابق ٣ / ٤٩٢

(٥٤) العين ١ / ٥٨

(٥٥) الكتاب ٢ / ٤٠٥

(٥٦) البصائر ٣ / ٥٣٤

(٥٧) العين ١ / ٥٨

(٥٨) الكتاب ٢ / ٤٠٥

(٥٩) البصائر ٥ / ٢٩٥

(٦٠) السابق ٤ / ١١٩

(٦١) السابق ٢ / ٥١٩

(٦٢) العين ١ / ٥٨

(٦٣) الكتاب ٢ / ٤٠٥

(٦٤) البصائر ٢ / ١٩٠

(٦٥) دراسة الصوت اللغوي ص ٣١٥

(٦٦) السابق ٤ / ٢٢٥

(٦٧) العين ١ / ٥٨

(٦٨) الكتاب ٢ / ٤٠٥

(٦٩) البصائر ٤ / ٣١٨

(٧٠) الكتاب ٢ / ٤٠٥

(٧١) البصائر ٤ / ٤٠٨

(٧٢) العين ١ / ٥٨

(٧٣) الكتاب ٢ / ٤٠٥

(٧٤) العين ١ / ٥٢

(٧٥) البصائر ٤ / ٤٧٥

(٧٦) وهناك من يطلق عليه مصطلح " الشفوي الثنائي" أو " الشفتاني"، والأول يتميز بالدقة ومطابقة قواعد الصرف ولكن يعيبه عدم الاختصار. والثاني يتميز بالدقة والاختصار ولكن يعيبه الخروج على القواعد الصرفية التي تنسب إلى المثنى عن طريق مفرده. دراسة الصوت اللغوي ٣١٥

(٧٧) العين ١ / ٥٨

(٧٨) البصائر ٥ / ٦

(٧٩) العين ١ / ٥١

(٨٠) الكتاب ٢ / ٤٠٥

(٨١) دراسة الصوت اللغوي ٣١٦

(٨٢) البصائر ٥ / ١٤٥

(٨٣) الكتاب ٢ / ٤٠٥

(٨٤) البصائر ٥ / ٢٩٥

(٨٥) العين ١ / ٥٧ – ٥٨

(٨٦) الكتاب ٢ / ٤٠٥

(٨٧) البصائر ٢ / ٣٥٠

(٨٨) السابق ٣ / ٤٥٨

(٨٩) السابق ٥ / ٣٧١

(٩٠) العين ١ / ٥٧ – ٥٨

(٩١) الكتاب ٢ / ٤٠٥

(٩٢) السابق

(٩٣) شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاسترآبادي، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م، ١٩٧/٣

(٩٤) السابق ٣ / ٢٢٧

(٩٥) السابق ٣ / ١٩٧

(٩٦) حاشية الصبان على شرح الأشمونيّ على ألفية ابن مالك، ومعه شرح شواهد اللغة للعيني، محمد بن علي الصَّبَّان، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ٢٧٩/٤

(٩٧) البصائر ٢ / ٢١٦، القاموس المحيط / بدل

(٩٨) البصائر ٢ / ١٩٥

(٩٩) السابق ٤ / ٤٧٦

(١٠٠) السابق ٤ / ٤٧٦

(١٠١) السابق ٥ / ٧

(١٠٢) السابق ٤ / ١٨٩

(١٠٣) سورة الكهف٩٧

(١٠٤) البصائر ٢ / ١٨٨

(١٠٥) السابق ٣ / ٤٩٢ – ٤٩٣

(١٠٦) السابق ٣ / ٤٩٣

(١٠٧) السابق ٢ / ٢٨٤

(١٠٨) السابق ٥ / ٢٠١

(١٠٩) السابق ٢ / ٣٥٩

(١١٠) ملامح من تاريخ العربية ملامح من تاريخ العربية، د/ أحمد نصيف الجنابي، دار الرشيد للنشر– بغداد، العراق، ١٩٨١م، ٤٧ – ٤٨

(١١١) سورة يوسف ٦

(١١٢) لم أعثر على القراءة فيما لديّ من مصادر تخص القراءات. ولم يشر صاحبا معجم القراءات القرآنية إلى وجود قراءة كهذه، للمراجعة: معجم القراءات القرآنية، د/ عبد العليم سالم مكرم، د/ أحمد مختار عمر، طبعة ذات السلاسل، الكويت، ط١، ١٩٨٢م.

(١١٣) البصائر ٢ / ٥٨٤

(١١٤) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي،(أبو عمرو ابن العلاء): د/ عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني – القاهرة، ط١، ١٩٨٧م، ٢٣٢ و ما بعدها

(١١٥) البصائر ٣ / ٥٣٤ – ٥٣٥

(١١٦) السابق ٣ / ٤

(١١٧) السابق ٣ / ٤٥٩

[١١٨] السابق ٢ / ٣٥٠ – ٣٥١

[١١٩] ذكر ابن يعيش هذا الإبدال، وذكر الشاهد على الصورة الآتية:

لاهُمَّ إن كنتَ قَبِلْتَ حجَّتَجْ *** فلا يزال شاحج يأتيك بجْ

شرح المفصل، موفق الدين بن يعيش، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ٩ / ٥٠، وانظر كذلك: شرح الشافية ٢ / ٢٨٧

[١٢٠] مجالس ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، القسم الأول، ط ٥، ١٩٨٧م، القسم الثاني، ط ٤، ١٩٨٠م، ١ / ١١٧

[١٢١] شرح المفصل ٩ / ٥٠

[١٢٢] لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، د/ غالب المطلبي، وزارة الثقافة والفنون، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٨م، ١٠١

[١٢٣] الدرس الصوتي عند رضي الدين الاسترآبادي، حسن عبد الغني الأسدي، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، العراق، ١٩٩٥ م، ٣٢ – ٣٣

[١٢٤] لهجة تميم ١٠٢

[١٢٥] سورة الضحى ٩

[١٢٦] قوله (لا تكهر) قرأها ابن مسعود، مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع، ابن خالويه، عنى بنشره: ج، براجستراسر، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٩٣٤م، ١٧٥

[١٢٧] البصائر ٤ / ٢٢٥

[١٢٨] المخصص، ابن سيده الأندلسي، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، مصور عن الطبعة الأميرية – بيروت، ١٣٢١ هـ، ١٣ /٢٧٧

[١٢٩] البصائر ٤ / ٣١٩

[١٣٠] شرح الشافية ٣ / ٢٠٠

[١٣١] البصائر ٣ / ٢٩٢

[١٣٢] الكتاب ٢ / ٢٩٥

(١٣٣) لهجة تميم ١٠٦ – ١١٠، فصول في فقه العربية، د/ رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، سفنكس للطباعة، ط ٢، ١٩٨٣م، ١٣٥

(١٣٤) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، تحقيق: علي النجدي، وعبد الحليم النجار، واسماعيل شلبي، دار إحياء التراث الإسلامي – القاهرة، ١٩٦٦م، ٣٤٣/١، كذلك: الإبدال، أبو الطيب اللغوي، تحقيق: عزالدين التنوخي، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٦٠ م، ١ / ٢٩٢ و ما بعدها. ولمزيد من التوسع: اللهجات العربية في التراث، د/ أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، ليبيا وتونس، ١٩٧٨م، ٣٧٠ – ٣٧٤.

(١٣٥) سورة يوسف ٣٥.

(١٣٦) ذكر ابن خالويه أن ابن مسعود قرأها في(سورة يوسف) راجع: مختصر في شواذ القراءات ٦٣. وجاء في حاشية الأمير علي المغني: محمد بن محمد الأمير، المكتبة التجارية، مصر، ١٩٦١م، ١ / ١١: أن ابن مسعود قرأها في(سورة الصافات) وهذا خطأ لأن ابن مسعود قرأها في(سورة يوسف) كما في: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، لأصحابها: عبد الله ومحمد الصالح راشد – الرياض، المملكة العربية السعودية، ٥ / ٣٠٧، وأيضاً: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، جار الله الزمخشري، دار الفكر – بيروت، لبنان، د، ت، ٢ / ٣١٩، وكذلك: معجم القراءات القرآنية.

(١٣٧) البصائر ٢ / ٤٢٩

(١٣٨) السابق ٥ / ٨٨

(١٣٩) اللهجات العربية في التراث ٣٧٣

(١٤٠) البصائر ١١٩/٤

(١٤١) النشوع والنشوغ: السعوط والوجور. والسعوط: ما يدخل في الأنف، الوجور: ما يدخل في الفم من الدواء.

(١٤٢) ارْمَعَلَّ الصبي: سال لعابه، وكذلك ارمغلَّ

(١٤٣) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أحمد جاد المولي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط ٤، ١٩٥٨ م، ٣٦٣/٢، وكذلك: اللهجات العربية في التراث ٣٥٨-٣٥٩

(١٤٤) البصائر ٥٢٠/٢

(١٤٥) إبدال أبي الطيب ٢٦٥/١، ٢٦٦

(١٤٦) اللهجات العربية في التراث ٤٦٧، وانظر أيضاً: التطور النحوي للغة العربية، براجستراسر، صححه وعلَّق عليه د/ رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي بالرياض، مطبعة المجد، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م، ٢٣

(١٤٧) البصائر ٤١٥/٢

(١٤٨) اللهجات العربية في التراث ٤٦٧-٤٧١

(١٤٩) العين ٥٧/١

(١٥٠) اللهجات العربية في التراث ٤٧٥

(١٥١) البصائر ٤١٥/٢

(١٥٢) السابق ٣٧٣/٥

(١٥٣) السابق ٣٧٣/٥

(١٥٤) السابق ٣٧٣/٥

(١٥٥) السابق ٣٧٣/٥

(١٥٦) السابق ٣٧٣/٥

(١٥٧) السابق ٣٧٣/٥

(١٥٨) السابق ٣٧٣/٥

(١٥٩) السابق ٣٧٣/٥

(١٦٠) السابق ٣٧٣/٥

(١٦١) السابق ٣٧٣/٥

(١٦٢) السابق ٣٧٣/٥

(١٦٣) الحِملاق: ما غطّت الجفون من بياض المقلة. وحملق: الرجل إذا فتح عينيه، العين ٣٢٢/٣، وراجع البصائر ٣٧٣/٥

(١٦٤) البصائر ٣٧٣/٥

(١٦٥) شرح الشافية ٢١٠/٣

(١٦٦) البصائر ٣٧١/٥

(١٦٧) شرح الشافية ٢٨٦/٢

(١٦٨) سورة المجادلة ٥

(١٦٩) البصائر ٣٢١/٤

(١٧٠) السابق ٤٢٨/٣، ٥٤١/٤، ٥/ ٣٧١،٣٦٣

(١٧١) لسان العرب / دغم

(١٧٢) معجم اللغة العربية المعاصرة

(١٧٣) البصائر ٣٥١/٢

(١٧٤) سورة الواقعة ٤

(١٧٥) البصائر ٤١٥/٢

(١٧٦) السابق ٥١٩/٢

(١٧٧) السابق ٥٨٤/٢

(١٧٨) السابق ٤/٣

(١٧٩) السابق ٤/٣

(١٨٠) السابق ١٢٠/٣

(١٨١) السابق ٢٩١/٣

(١٨٢) السابق ٣٦٧/٣

(١٨٣) السابق ٤٥٨/٣

(١٨٤) السابق ٤٩٢/٣

(١٨٥) السابق ٣/٥٣٤

(١٨٦) السابق ٥/٢٥٦-٢٥٧

(١٨٧) السابق ٢/ ٢٨٤ و٢٩٥

(١٨٨) سورة المدثر ١

(١٨٩) البصائر ٢/٥٨٨

(١٩٠) سورة الأنفال ٩

(١٩١) قرأ نافع وحده:(مُرْدَفين) بفتح الدال. وقرأ الباقون :(مُرْدِفين) بكسر الدال. السبعة في القراءات(كتاب)، ابن مجاهد، تحقيق: د/ شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، ط ٢، د.ت، ٣٠٤، وكذلك: اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، أحمد بن البنا الدمياطي، تعليق: علي محمد الضباع، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، ١٣٥٩ هـ، ٢٣٦

(١٩٢) البصائر ٣/٦٤

(١٩٣) سورة الفاتحة ٧

(١٩٤) سورة النمل ٦٦

(١٩٥) يبدو أن هذا خطأ حدث في النسخ أو الطباعة أو التبس على صاحب الكتاب، إذ الصحيح هو إدغام التاء في الدال لا العكس. وقد ورد في النص الذي يتلوه ما يعضد ذلك فينظر في أعلاه

(١٩٦) البصائر ٢/ ٩٥ ٥

(١٩٧) سورة البقرة ٧٢

(١٩٨) البصائر ٢/٨

(١٩٩) سورة الكهف ٩٧، وقرأ السبعة كلهم:(فما اسطاعوا) بتخفيف الطاء، غير حمزة، فإنه قرأ:(فما اسطّاعوا) مشددة الطاء، يريد(فما استطاعوا) ثم يدغم التاء في الطاء، وهذا غير جائز، لأنه قد جمع بين السين وهي ساكنه، والتاء المدغمة وهي ساكنة. السبعة في القراءات ٤٠١، وكذلك: إتحاف فضلاء البشر ٢٩٥

(٢٠٠) البصائر ٣/٥٢٠

(٢٠١) سورة التوبة ٧٩

(٢٠٢) البصائر ٣/٥٢١

(٢٠٣) سورة المجادلة ٢، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو:(يظَّهَّرون) بغير ألِف مشددة. وقرأ عاصم وحده:(يُظاهِرون) بألِف وياء مضمومة، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي:(يَظَّاهَرُون) بفتح الياء، وتشديد الظاء، وألف. السبعة في القراءات ٦٢٨، كذلك: الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي بن أبي طالب، تحقيق: محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٨١م، ٣١٣/٢، إتحاف فضلاء البشر ٤١١

(٢٠٤) البصائر ٣/٥٤٩

(٢٠٥) سورة النساء ١١٥

(٢٠٦) سورة الأنفال ١٣

(٢٠٧) سورة الحشر ٤

(٢٠٨) البصائر ١/١٧٥

(٢٠٩) شرح الشافية ٣/٦٦، ٦٧

(٢١٠) من مظاهر المعيارية في الصرف العربي، د/ فوزي الشايب، مجلة مجمع اللغة العربية، الأردني، العدد الثلاثون، السنة العاشرة، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م، ٨٢: ٨٣

(٢١١) الدرس الصوتي عند رضيّ الدين الاسترآبادي ١٢٣

(٢١٢) سورة البقرة ١٩

(٢١٣) البصائر ٣/٤٤٩

(٢١٤) السابق ٣/٤٤٩

(٢١٥) السابق ٣/٢٨٨

(٢١٦) السابق ٣/٥٠٩

(٢١٧) السابق ٥/١٩٤

(٢١٨) السابق ٢/١١٣

(٢١٩) السابق ٥/١٤٦

[٢٢٠] السابق ٥/ ١٤٦

[٢٢١] الدرس الصوتي عند رضي الدين الاسترآبادي ٦٠ و ١٧١

[٢٢٢] البصائر ١٤/٥

[٢٢٣] السابق ٤٤/٥

[٢٢٤] السابق ٦١٣/٢

[٢٢٥] السابق ٣/ ٣٤٨

[٢٢٦] سورة الشورى ٣٠، وانظر البصائر ٤٤٩/٣

[٢٢٧] سورة الواقعة ١٨، وانظر البصائر ٤٠١/٤

[٢٢٨] البصائر ٣/ ١٨٧

[٢٢٩] السابق ١٥/٥

[٢٣٠] سورة الحجر ٤٩

[٢٣١] سورة التحريم ٣

[٢٣٢] البصائر ١٤/٥

[٢٣٣] سورة التوبة ٣٠

[٢٣٤] البصائر ٤٧٨/٣، السبعة في القراءات ٣١٤، إتحاف فضلاء البشر ٢٤١

[٢٣٥] سورة الهمزة ٨

[٢٣٦] البصائر ٢٢٢/٥، إتحاف فضلاء البشر ٤٤٣، ٥٥

[٢٣٧] سورة البقرة ١٤

[٢٣٨] إتحاف فضلاء البشر ١٢٩

[٢٣٩] البصائر ٣٢٦/٥

[٢٤٠] البصائر ١٦٢/٣، إتحاف فضلاء البشر ٤٢٣

[٢٤١] سورة المعارج ١

[٢٤٢] سورة يوسف ٢٣

[٢٤٣] البصائر ٣٦٦/٥، مختصر في شواذ القراءات ٦٣

(٢٤٤) سورة مريم ٧٤

(٢٤٥) البصائر ١١٣/٣

(٢٤٦) البصائر ٥٢١/٤، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧م، ١٣٩/١، البحر المحيط ٢٠/١

(٢٤٧) البصائر ٥٢٢/٤

(٢٤٨) سورة الشعراء ١٤٩

(٢٤٩) البصائر ٢٣/٥، مختصر في شواذ القراءات ١٠٧

(٢٥٠) البصائر ٥/ ١٤٨،١٥١

(٢٥١) الكتاب ٣١٥/٢

(٢٥٢) سر صناعة الإعراب ١٩/١

(٢٥٣) النشر في القراءات العشر، أبو الخير، المعروف بابن الجزري، تصحيح وقراءة: علي محمد الضَّباع، مطبعة دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ٣٢/٢

(٢٥٤) دراسة الصوت اللغوي ٣٢٦

(٢٥٥) سورة الإسراء ٧٢

(٢٥٦) سورة فصلت ٤٤

(٢٥٧) سورة الأعراف ٦٤

(٢٥٨) سورة طه ١٢٤

(٢٥٩) سورة الإسراء ٩٧

(٢٦٠) البصائر ١٠٢/٤، ١٠٣، ينظر في قراءة الآية المتقدمة: السبعة في القراءات ٣٨٣، وكذلك: النشر في القراءات العشر، ٥٢/٢

(٢٦١) البصائر ٥٢١/٤

(٢٦٢) السابق ١٨/٢